الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الاسلام ابن تيمية

رحمه الله تعالى

علق عليه وحققه

أبو الوفاء محمد درويش

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

مطابع الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا ، فهدى من الضلالة وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفا ، وفرق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال والرشاد والغي ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة والاشقياء أهل النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أولياء الشيطان وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة ورسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم) وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد

أيمانهم انهم لمعكم ؟ حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين . يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا)

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقال تعالى (الذين يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) وقال تعالى(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ؛أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا) وقال تعالى (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون . وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا) الى قوله (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) وقال تعالى (وإن الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم) وقال الخليل عليه السلام (ياأبت إني اخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) الآيات الى قوله (انك انت العزيز الحكيم) .

فصل

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة — أو فقد آذنته بالحرب — وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لاعيذنه ، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » وهذا أصح حديث يروى في الاولياء . فبين النبي ﷺ أنه من عادى ولياً لله فقد بارز الله بالمحاربة .

وفي حديث آخر « واني لأثأر لاوليائي كما يثأر الليث الحرب » أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره ، وهذا لان أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال « أوثق العرى في الايمان :

الحب في الله والبغض في الله » وفي لحديث آخر رواه أبو داود قال « ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » .

والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل : ان الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها . والاول أصح . والولي القريب ، فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه . ومنه قوله ﷺ « ألحقوا الفرائض باهلها فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر » أي لاقرب رجل الى الميت . ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ، ولا يشترك فيها الذكور والاناث كما قال في الزكاة « فابن لبون ذكر » .

فاذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معاديا له كما قال تعالى (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال « ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » .

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ؛ وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ؛ قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليما) .

وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وامام الانبياء اذا اجتمعوا ، وخطيبهم اذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة وصاحب الوسيلة والفضيلة ، الذي بعثه بأفضل كتبه وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وجمع له ولامته من

الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الامم خلقاً ، وأول الامم بعثاً كما قال ﷺ في الحديث الصحيح « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة. بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه ــ يعني يوم الجمعة ــ فهدانا الله له : الناس لنا تبع فيه ، غداً لليهود وبعد غد للنصارى » .

وقال ﷺ « أنا أول من تنشق عنه الارض » وقال ﷺ « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول أنا محمد ، فيقول بك أمرت أن لاأفتح لاحد قبلك».

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة ، ومن حين بعثه الله جعله الله الفارق بين اوليائه وبين أعدائه ، فلا يكون ولياً لله الا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان . قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال الحسن البصري رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم . وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فان الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله ، وان كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأحباؤه . قال تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق) الآية ، وقال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى ، تلك أمانيهم) الى قوله (ولا هم يحزنون) .

وكان مشركوا العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ، ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون • مستكبرين به سامراً تهجرون) ، وقال تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك) الى قوله (وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان اولياؤه الا المتقون) فبين سبحانه

ان المشركين ليسوا اولياءه ولا اولياء بيته ، انما اولياؤه المتقون .

وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر « ان آل فلان ليسوا لي باولياء ــ يعني طائفة من أقاربه ــ انما ولي الله وصالح المؤمنين » وهذا موافق لقوله تعالى (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) الآية . وصالح المؤمنين هو من كان صالحاً من المؤمنين . وهم المؤمنون المتقون اولياء الله . ودخل في ذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا الفاً وأربعمائة وكلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة » ومثل هذا الحديث الآخر ان اوليائي المتقون اياً كانوا وحيث كانوا .

كما ان من الكفار من يدعي انه ولي الله وليس ولياً لله بل عدو له ، فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام يقرون في الظاهر بشهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، وانه مرسل الى جميع الانس بل الى الثقلين الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك ، مثل أن لا يقروا في الباطن بانه رسول الله ، وانما كان ملكا مطاعاً ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك ، او يقولون انه رسول الله الى الاميين دون اهل الكتاب كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، او انه مرسل الى عامة الخلق وان لله اولياء خاصة لم يرسل اليهم ولا يحتاجون اليه ، بل لهم طريق الى الله من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى ، او انهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون اليه وينتفعون به من غير واسطة ، او انه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها ، واما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، او لم يكن يعرفها ، او هم أعرف بها منه ، او يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : ان اهل الصفة كانوا مستغنين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : ان الله أوحى الى اهل الصفة في الباطن ما اوحى اليه

ليلة المعراج ، فصار أهل الصفة بمنزلته ، وهؤلاء من فرط جهلهم لا يعلمون ان الاسراء كان بمكة كما قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله) وان الصفة لم تكن الا بالمدينة وكانت صفة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم اهل واصحاب ينزلون عندهم فان المؤمنين كانوا يهاجرون الى النبي ﷺ الى المدينة ؛ فمن امكنه ان ينزل في مكان نزل به ، ومن تعذر ذلك عليه نزل في المسجد الى ان يتيسر له مكان ينتقل اليه .

ولم يكن اهل الصفة ناساً بأعيانهم يلازمون الصفة ، بل كانوا يقلون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زماناً ثم ينتقل منها ، والذين ينزلون بها من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي ﷺ كالعرنيين الذين اجتووا المدينة ـ اي استوخموها ـ فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح ـ أي إبل لها لبن ـ وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا الراعي ، واستاقوا الذود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأتى بهم ؛ فأمر بقطع ايديهم وارجلهم ، وسمرت اعينهم وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون ، وحديثهم في الصحيحين من حديث انس ، وفيه انهم نزلوا الصفة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن ابي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة وغيره .

وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من نزل الصفة

وأما الانصار فلم يكونوا من اهل الصفة ، وكذلك اكابر المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة وغيرهم لم يكونوا من اهل الصفة .

وقد روى أنه بها غلام للمغيرة بن شعبة وان النبي ﷺ قال « هذا واحد من السبعة » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم وان كان قد رواه ابو نعيم في الحلية ، وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الاولياء والابدال والنقباء

والنجباء والأوتاد والاقطاب ، مثل أربعة أو سبعة أو اثنى عشر أو اربعين أوسبعين أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أو القطب الواحد ، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الالفاظ الا بلفظ الابدال . وروى فيهم حديث أنهم اربعون رجلا وانهم بالشام وهو في المسند من حديث على كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . ومعلوم ان علياً ومن معه من الصحابة كانوا افضل من معاوية ومن معه بالشام فلا يكون افضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي . وقد اخرجا في الصحيحين عن ابي سعيد عن النبي ﷺ انه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن ابي طالب واصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على ان علي ابن ابي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ؛ وكيف يكون الابدال في ادنى العسكرين دون اعلاهما ؟

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ انه انشد منشد

قد لسعت حية الهوى كبدي	فلا طبيب لهـا ولا راقي
الا الحبيبُ الذي شغفت به	فعنـده رقيـتي وترياقي

وان النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن المنكبة ، فانه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم انه مزق ثوبه وان جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش ، فهذا وامثاله مما يعرف اهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ انه من اظهر الاحاديث كذبا عليه ﷺ .

وكذلك مايروونه عن عمر رضي الله عنه انه قال : كان النبي ﷺ وابو بكر يتحدثان وكنت بينهما كالزنجي ، وهو كذب موضوع باتفاق اهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ان فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر من يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك فيكون منافقاً وهو يدعي في نفسه وامثاله انهم أوليـاء الله مع

كفرهم في الباطن بما جاء به الرسول ﷺ إما عناداً وإما جهلا . كما ان كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون أنهم اوليـاء الله . وان محمداً رسول الله ، ولكن يقولون إنما أرسل الى غير اهل الكتاب ، وانه لا يجب علينا اتباعه ، لانه ارسل الينا رسلا قبله ، فهؤلاء كلهم كفار مع انهم يعتقدون في طائفتهم انهم اوليـاء الله ، وانما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله (ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون)

ولا بد في الايمـان من ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويؤمن بكل رسول ارسله الله وكل كتاب انزله الله كما قال تعـالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله) الى آخر السورة . وقال في اول السورة (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيـه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وممـا رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، واولئك هم المفلحون .) فلا بد في الايمان من ان تؤمن ان محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وان الله ارسله الى جميع الثقلين الجن والانس ، فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن ، فضـلا عن ان يكون من اولياء الله المتقين ، ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن كما قال الله تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله

غفوراً رحيماً) ومن الايمان به الايمان بأنه الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ، وحلاله وحرامه ؛ فالحلال ما احله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله ﷺ ، فمن اعتقد ان لاحد من الاولياء طريقاً الى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من اولياء الشيطان.

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقه اياهم ، واجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على اعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده يفعله بما يشاء من الاسباب لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ماجاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى كالاحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم ؛ وكذلك المتسبين الى العلم والعبادة من المشركين مشركي العرب والترك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك وله علم او زهد وعبادة في دينه وليس مؤمناً بجميع ما جاء به فهو كافر عدو لله ، وان ظن طائفة انه ولي لله ، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفاراً مجوسا وكذلك حكماء اليونان مثل أرسطو وأمثاله كانوا مشركين يعبدون الاصنام والكواكب وكان ارسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدونى ، وهو الذي تؤرخ به تواريخ الروم واليونان وتؤرخ به اليهود والنصارى ، وليس هذا هو ذو القرنين الذي ذكره الله في كتابه كما يظن بعض الناس ان ارسطو كان وزيرا لذى القرنين لما رأوا ان ذاك اسمه الاسكندر ، وهذا قد يسمى بالاسكندر ظنوا انهذا ذاك كما يظنه ابن سينا وطائفة معه ، وليس الامر كذلك بل هذا الاسكندر المشرك الذى قد كان ارسطو وزيره متأخر عن ذاك ، ولم يبن هذا السور ولا وصل الى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذي كان ارسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفي اصناف المشركين من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بتبع للرسل

ولا يؤمن بما جاءوا به ولا يصدقهم بما اخبروا به ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء لله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الامور ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين . قال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم . يلقون السمع واكثرهم كاذبون)

وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون الى المكاشفات وخوارق العادات اذا لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد ان يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد ان يكون في اعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من أولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن . قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسوله ﷺ مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره ويعتقد وجوب امره فقد اعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به . قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً ؟ قال : كذلك آتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي انزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً ليلا ونهاراً مع غاية الزهد ، وعبده مجتهداً في عبادته ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله ـ وهو القرآن ـ كان من اولياء الشيطان ولو طار في الهواء أو مشى على الماء فان الشيطان يحمله في الهواء . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

فصل

ومن الناس من يكون فيه ايمان ، وفيه شعبة من نفاق ، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « أربع من

كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، واذا عاهد غدر » .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله الا الله ، وأدناها إماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان » فبين النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت في الصحيحين أنه قال لابي ذر وهو من خيار المؤمنين « انك امرؤ فيك جاهلية » فقال يارسول الله أعلى كبر سني ؟ قال نعم .

وثبت في الصحيح عنه أنه قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية : الفخر في الاحساب ، والطعن في الانساب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم »

وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » وفي صحيح مسلم « وان صام وصلى وزعم انه مسلم » وذكر البخاري عن ابن أبي مليكة قال : ادركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه . وقد قال الله تعالى (وما اصابكم يوم التقى الجمعان فبأذن الله ، وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم . هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) فقد جعل هؤلاء الى الكفر أقرب منهم للايمان ، فعلم انهم مخلطون وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخلطا وايمانه أقوى .

واذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب ايمان العبد وتقواه

تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل ايمانا وتقوى ، كان أكمل ولاية لله .
فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الايمان والتقوى ،
وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق ، قال الله
تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا ؟ فأما الذين
آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم وماتوا وهم كافرون) وقال تعالى (انما النسيء زيادة في الكفر)
وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال تعالى في المنافقين
(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) فبين سبحانه وتعالى ان الشخص الواحد
قد يكون فيه قسط من ولاية الله بحسب ايمانه ؛ وقد يكون فيه قسط من عداوة
الله بحسب كفره ونفاقه . وقال تعالى (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وقال تعالى
(ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) .

فصل

وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون .
ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها وفي
سورة الانسان ، والمطففين وفي سورة فاطر ، فانه سبحانه وتعالى ذكر في الواقعة
القيامة الكبرى في أولها ، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ، فقال في أولها
(اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . اذا رجت الارض رجا .
وبست الجبال بساً . فكانت هباءاً منبثاً . وكنتم أزواجاً ثلاثة : فأصحاب الميمنة
ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون
أولئك المقربون ؛ في جنات النعيم . ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) فهذا

تقسيم الناس اذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الاولين والآخرين كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة (فلولا) أي فهلا (اذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن اقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون ، فلولا ان كنتم غير مدينين ، ترجعونها ان كنتم صادقين ، فأما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما ان كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما ان كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ، ان هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعالى في سورة الانسان (إنا هديناه السبيل ، اما شاكراً واما كفوراً ، انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ، ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) الآيات . وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال : (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين) الى أن قال : (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم يشهده المقربون ، ان الابرار لفي نعيم ، على الارائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم ، عينا يشرب بها المقربون) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف قالوا يمزج لاصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقربون صرفا ، وهو كما قالوا ، فانه تعالى قال (يشرب بها) ولم يقل يشرب منها لانه ضمن ذلك قوله يشرب يعني يروى بها ، فان الشارب قد يشرب ولا يروى ، فاذا قيل يشربون منها لم يدل على الري ، فاذا قيل يشربون

بها كان المعنى يروون بها ، فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها الى ما دونها ، فلهذا يشربون منها صرفا ، بخلاف اصحاب اليمين فانها مزجت لهم مزجا ، وهو كما قال تعالى في سورة الانسان (كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) .

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لان الجزاء من جنس العمل في الخير والشر كما قال النبي ﷺ « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم في صحيحه . وقال ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » قال الترمذي : حديث صحيح .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن « يقول الله تعالى : انا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته » وقال « ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله » ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين كما تقدم . وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الاولياء فقال «يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » .

فالابرار أصحاب اليمين هم المتقربون اليه بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ماحرم الله عليهم، ولايكلفون أنفسهم بالمندوبات؛ ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات ، فلما تقربوا اليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى «ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتي أحبه » يعني الحب المطلق كقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) أي أنعم عليهم الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات ، يتقربون بها الى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا ، والمقتصدون كان في أعمالهم مافعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولايثابون عليه فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب مامزجوه في الدنيا .

ونظير هذا انقسام الانبياء عليهم السلام الى عبد رسول ونبي ملك وقد خير الله سبحانه محمداً ﷺ بين ان يكون عبدا رسولا ، وبين ان يكون نبيا ملكا ، فاختار ان يكون عبداً رسولا ، فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام قال الله تعالى في قصة سليمان الذي (قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الاصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) اي اعط من شئت واحرم من شئت لاحساب عليك ، فالنبي الملك يفعل مافرض الله عليه ويترك ما حرم الله عليه ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار من غير اثم عليه .

وأما العبد الرسول فلا يعطى أحداً الا بامر ربه ولايعطى من يشاء ويحرم

انه قال « اني والله لا أعطي احداً ولا امنع احداً ، انما أنا قاسم اصنع حيث أمرت ، ولهذا يضيف الله الاموال الشرعية الى الله والرسول كقوله تعالى (قل الانفال لله والرسول) وقوله تعالى (وما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) وقوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول) .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء أن هذه الاموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الامر كما هو مذهب مالك وغيره من السلف . ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس انه يقسم على خمسة كقول الشافعي وأحمد في المعروف عنه وقيل على ثلاثة كقول أبي حنيفة رحمه الله .

والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملك كما أن ابراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام أفضل من يوسف وداود وسليمان عليهم السلام كما ان المقربين السابقين افضل من الابرار أصحاب اليمين الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن ادى ما أوجب الله عليه وفعل من المباحات ما يحبه فهو من هؤلاء . ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ويقصد أن يستعين بما ابيح له على ما أمره الله فهو من اولئك .

فصل

وقد ذكر الله تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة فاطر في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير ، وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ، الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) لكن هذه الاصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصة كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير) .

وأمة محمد ﷺ هم الذين اورثوا الكتاب بعد الامم المتقدمة، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم الى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بخلاف الايات التي في الواقعة والمطففين والانفطار، فانه دخل فيها جميع الامم المتقدمة كافرهم ومؤمنهم، وهذا التقسيم لامة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه اصحاب الذنوب المصرون عليها، ومن تاب من ذنبه أي ذنب كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين، والمقتصد المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، والسابق للخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الايات، ومن تاب من ذنبه أي ذنب كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين كما في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) والمقتصد المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم، والسابق بالخيرات هو المؤدي للفرائض والنوافل كما في تلك الايات.

وقوله (جنات عدن يدخلونها) مما يستدل به اهل السنة على انه لا يخلد في النار أحد من اهل التوحيد.

واما دخول كثير من اهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ كما تواترت بخروجهم من النار وشفاعة نبينا محمد ﷺ في اهل الكبائر واخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا ﷺ وشفاعة غيره. فمن قال ان اهل الكبائر مخلدون في النار وتأول الاية على ان السابقين هم الذين يدخلونها وان المقتصد او الظالم لنفسه لايدخلها كما تأوله من المعتزلة فهو مقابل بتأويل المرجئة الذين لايقطعون بدخول احد من اهل الكبائر النار، ويزعمون ان اهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ولاجماع سلف الامة وائمتها.

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى فى آيتين من كتابه وهو قوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فأخبر تعالى انه لا يغفر الشرك واخبر انه يغفر ما دونه لمن يشاء ، ولا يجوز ان يراد بذلك التائب كما يقوله من يقوله من المعتزلة لان الشرك يغفره الله لمن تاب وما دون الشرك يغفره الله ايضا للتائب فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالى (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فهنا عمم المغفرة واطلقها فان الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه فمن تاب من الشرك غفر الله له ، ومن تاب من الكبائر غفر الله له ، واي ذنب تاب العبد منه غفر الله له . ففي آية التوبة عمم واطلق وفي تلك الاية خصص وعلق فخص الشرك بأنه لا يغفره وعلق ما سواه على المشيئة . ومن الشرك التعطيل للخالق وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب . ونبه بالشرك على ماهو اعظم منه كتعطيل الخالق او يجوز ان لا يعذب بذنب ، فانه لو كان كذلك لما ذكر انه يغفر البعض دون البعض ، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفورا له بلا توبة ولا حسنات ماحية لم يعلق ذلك بالمشيئة .

وقوله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) دليل على انه يغفر البعض دون البعض ، فبطل النفي والوقف العام .

فصل

واذا كان اولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون . والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك ، كما انهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك .

واصل الايمان والتقوى : الايمان برسل الله ، وجماع ذلك : الايمان بخاتم الرسل محمد ﷺ ، فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله . واصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل ، وبما جاءوا به ، فان هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الاخرة ؛ فان الله تعالى اخبر في كتابه انه لا يعذب احداً الا بعد

بلوغ الرسالة . قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ، واتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما ؛ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى عن اهل النار (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير) فأخبر انه كلما القي في النار فوج إقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على انه لا يلقي فيها فوج الا من كذب النذير . وقال تعالى في خطابه لابليس (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) فاخبر انه يملؤها بابليس ومن اتبعه ، فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم . فعلم انه لا يدخل النار الا من تبع الشيطان ، وهذا يدل على انه لا يدخلها من لا ذنب له فانه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً ، وما تقدم يدل على انه لا يدخلها الا من قامت عليه الحجة بالرسل .

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل ايمانا مجملا ، واما الايمان المفصل فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ولو بلغه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل ايماناً مجملا ، فهذا اذا عمل بما علم ان الله امره به مع ايمانه وتقواه فهو من اولياء الله تعالى ، له من ولاية الله بحسب ايمانه وتقواه ، وما لم تقم عليه الحجة فان الله تعالى لم يكلفه معرفته والايمان المفصل به ، فلا يعذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك) فمن علم بما جاء به الرسل وآمن به ايمانا مفصلا وعمل به فهو أكمل ايمانا وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا ولم يعمل به ، وكلاهما ولي لله تعالى ، والجنة درجات متفاضلة تفاضلا عظيما ، واولياء الله المؤمنون المتقون في تلك

الدرجات بحسب ايمانهم وتقواهم . قال تبارك وتعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) .

فبين الله سبحانه وتعالى انه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر ثم قال تعالى (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) فبين الله سبحانه ان اهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وان درجاتها أكبر من درجات الدنيا وقد بين تفاضل انبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين فقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) .

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان » وفي الصحيحين عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران ، واذا اجتهد فأخطأ فله أجر . وقد قال الله تعالى (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما) وقال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن

بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) وقال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعلمون خبير) .

فصل

واذا كان العبد لا يكون ولياً لله الا اذا كان مؤمناً تقياً لقوله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) وفي صحيح البخاري الحديث المشهور وقد تقدم . يقول الله تبارك وتعالى فيه « ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه » ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب الى الله بالفرائض فيكون من الابرار اهل اليمين ثم بعد ذلك لايزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين فمعلوم ان احداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله ، وكذلك من لا يصح ايمانه وعباداته وان قدر انه لا اثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوى وان قيل انهم لا يعذبون حتى يرسل اليهم رسول فلا يكونون من اولياء الله الا اذا كانوا من المؤمنين المتقين ؛ فمن يتقرب الى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من اولياء الله ، وكذلك المجانين والاطفال فان النبي ﷺ قال « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ » وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما ، واتفق اهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، واما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا تصح شيء من عباداته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه ايمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء

لامور الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح ان يكون بزازاً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً ولا تصح عقوده باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا اقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب . بخلاف الصبي المميز فان له اقوالا معتبرة في مواضع بالنص والاجماع وفي مواضع فيها نزاع .

واذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ولا التقرب الى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع ان يكون ولياً لله فلا يجوز لاحد ان يعتقد انه ولي لله لا سيما ان تكون حجته على ذلك اما مكاشفة سمعها منه او نوع من تصرف مثل ان يراه قد اشار الى واحد فمات او صرع فانه قد علم ان الكفار والمنافقين من المشركين واهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين واهل الكتاب ، فلا يجوز لاحد ان يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله وان لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله فكيف اذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل ان يعلم انه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً ، بل يعتقد انه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة او يعتقد ان لاولياء الله طريقاً الى الله غير طريق الانبياء عليهم السلام ، او يقول ان الانبياء ضيقوا الطريق او هم على قدوة العامة دون الخاصة ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعى الولاية فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان فضلا عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن احدهم من خرق عادة على ولايتهم كان اضل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون فان كونه مجنوناً يناقض ان يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يجن احيانا ويفيق احيانا ، اذا كان في حال افاقته مؤمناً بالله ورسوله ويؤدي الفرائض ويجتنب المحارم ، فهذا اذا جن لم يكن جنونه مانعاً من ان يثيبه الله على ايمانه وتقواه الذي اتى به في حال افاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد ايمانه وتقواه ، فان الله يثيبه ويأجره على ما تقدم من ايمانه وتقواه ، ولايحبطه بالجنون الذي ابتلى به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلى هذا فمن اظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي لله ، فان هذا ان لم يكن مجنوناً بل كان متولهاً من غير جنون او كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق اخرى وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد انه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ فهو كافر وان كان مجنونا باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وان لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين فليس هو مستحقاً لما يستحقه اهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين ان يعتقد فيه احد انه ولي لله ، ولكن ان كان له حالة في افاقته كان فيها مؤمناً بالله متقياً كان له من ولاية الله بحسب ذلك وان كان له في حال افاقته فيه كفر او نفاق او كان كافرا او منافقاً ثم طرأ عليه الجنون ، فهذا فيه من الكفر والنفاق مايعاقب عليه وجنونه لا يحبط عنه مايحصل منه حال افاقته من كفر او نفاق .

فصل

وليس لاولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الامور والمباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس اذا كان كلاهما مباحا ، ولا بحلق شعر او تقصيره او ظفره اذا كان مباحا كما قيل : كم من صديق في قباء وكم من زنديق في عباء . بل يوجدون في جميع اصناف امة محمد ﷺ اذا لم يكونوا من اهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في اهل القرآن واهل العلم ويوجدون في اهل الجهاد والسيف ويوجدون في التجار والصناع والزراع . وقد ذكر الله اصناف امة محمد ﷺ في قوله تعالى (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار ، علم ان لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرؤوا ما تيسر من القران ، علم ان سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله ، فاقرؤوا ماتيسر منه) وكان السلف يسمون اهل الدين والعلم (القراء) فيدخل فيهم العلماء والنساك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء واسم الصوفية هو نسبة الى لباس الصوف؛ هذا هو

الصحيح وقد قيل إنه نسبة الى صفوة الفقها. ، وقيل الى صوفة بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك ، وقيل الى أهل الصفة ، وقيل الى الصفا ، وقيل الى الصفوة وقيل الى الصف المقدم بين يدي الله تعالى ، وهـذه أقوال ضعيفة ، فانه لو كان كذلك لقيل صفى أو صفائى أو صفوى أو صفى ، ولم يقل صوفى ، وصار أيضاً اسم الفقراء يعني به أهل السلوك ، وهذا عرف حادث ، وقد تنازع الناس أيا أفضل مسمى الصوفى أو مسمى الفقير ويتنازعون أيضاً أيا أفضل الغنى الشاكر أو الفقير الصابر .

وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد وبين أبي العباس ابن عطاء. وقد روى عن احمد بن حنبل فيها روايتان ، والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى حيث قال (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه سئل : اى الناس افضل ؟ قال اتقاهم . قيل له ليس عن هذا نسألك فقال : يوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن اسحق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله . فقيل له ليس عن هذا نسألك . فقال عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا .

فدل الكتاب والسنة ان اكرم الناس عند الله اتقاهم .

وفي السنن عن النبي ﷺ انه قال « لا فضل لعربي على عجمى ولا لعجمى على عربي ولا لاسود على ابيض ولا لابيض على اسود الا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وعنه ايضا ﷺ انه قال « ان الله تعالى أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس رجلان : مؤمن تقى وفاجر شقى » .

فمن كان من هذه الاصناف أتقي لله فهو اكرم عند الله واذا استويا في التقوى استويا في الدرجة .

ولفظ الفقر في الشرع يراد به الفقر من المال ويراد به فقر المخلوق الى خالقه

كما قال تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات وأهل الفيء ، فقال في الصنف الاول (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنيـاء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) وقال في الصنف الثاني وهم افضل الصنفين (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون) .

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً كما قال النبي ﷺ « المؤمن من أمنه الناس على دمائهم واموالهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه . والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » .

اما الحديث الذي يرويه بعضهم انه قال في غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهـاد الاكبر فلا اصل له ولم يروه احد من اهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وافعاله ، وجهاد الكفار من اعظم الاعمال ، بل هو افضل ما تطوع به الانسان قال الله تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيما) وقال تعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عنـد الله ، وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منـه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها ابداً ، ان الله عنده أجر عظيم)

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال كنت عند النبي ﷺ فقال رجل ما ابالي الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج ، وقال آخر ما ابالي ان اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام ، وقال علي

ابن أبي طالب الجهاد في سبيل الله افضل مما ذكرتما فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ولكن اذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأنزل الله تعالى هذه الاية .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله اي الاعمال افضل عند الله عز وجل ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم اي قال بر الوالدين .. قلت ثم اي ؟ قال الجهاد في سبيل الله . قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني . وفي الصحيحين عنه ﷺ انه سئل اي الاعمال افضل ؟ قال « ايمان بالله وجهاد في سبيله : قيل ، ثم ماذا ؟ قال حج مبرور »

وفي الصحيحين ان رجلا قال له ﷺ يارسول الله أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله قال « لا تستطيعه او لا تطيقه » قال فأخبرني به قال هل تستطيع اذا خرجت مجاهدا ان تصوم ولا تفطر وتقوم ولا تفتر .

وفي السنن عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه وصاه لما بعثه الى اليمن فقال : يامعاذ اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن . وقال يامعاذ اني لاحبك فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . وقال له وهو رديفه يامعاذ ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله اعلم . قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم . قال حقهم عليه الا يعذبهم .

وقال ايضاً لمعاذ : رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ، وقال يامعاذ الا اخبرك بأبواب البر ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وقيام الرجل في جوف الليل ، ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال يامعاذ الا اخبرك بما هو املك لك من ذلك فقال : امسك عليك لسانك هذا فأخذ بلسانه ، قال يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك امك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم .

وتفسير هذا ما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ انه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت » فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه والصمت عن الشر خير من التكلم به فاما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها ، وكذلك الامتناع عن اكل الخبز واللحم وشرب الماء فذلك من البدع المذمومة أيضاً كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ رأي رجلا قائما في الشمس فقال ما هذا فقالوا : ابو اسرائيل نذر ان يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه

وثبت في الصحيحين عن انس ان رجالا سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فكأنهم تقالوها فقالوا واينا مثل رسول الله ﷺ ثم قال احدهم اما انا فأصوم ولا افطر ، وقال الآخر أما أنا فأقوم ولا أنام وقال الآخر أما أنا فلا آكل اللحم وقال الاخر اما انا فلا اتزوج النساء فقال رسول الله ﷺ « ما بال رجال يقول احدهم كذا وكذا ولكني اصوم وافطر واقوم وانام وآكل اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » اي سلك غيرها ظاناً ان غيرها خير منها ، فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله قال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) بل يجب على كل مسلم ان يعتقد ان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ كما ثبت عنه في الصحيح انه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة

فصل

وليس من شرط ولي الله ان يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطأ بل يجوز ان يخفي عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض امور الدين حتي يحسب بعض الامور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وان لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ؛ فان الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الامة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ،

لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

وقد ثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء. وقال (قد فعلت) ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. والله على كل شيء قدير) قال دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه فقال النبي ﷺ « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال فألقى الله الايمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) الى قوله (أو أخطأنا) قال الله قد فعلت (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا) قال قد فعلت (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) قال قد فعلت . وقد قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا أنه قال « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر » فلم يؤثم المجتهد المخطىء. بل جعل له أجراً على اجتهاده وجعل خطأه مغفوراً له ، ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لان يكون نبياً بل ولا يجوز لولي الله ان يعتمد على مايلقى اليه في قلبه الا إن يكون موافقاً وعلى ما يقع له مما يراه الهاماً ومحادثة وخطابا من الحق بل يجب عليه ان يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فان وافقه قبله وان خالفه لم يقبله ؛ وان لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط ؛ فمنهم من اذا اعتقد في شخص انه ولي لله وافقه في كل ما يظن انه حدثه به قلبه عن ربه ، وسلم اليه جميع

ما يفعله ، ومنهم من اذا رآه قد قال او فعل ما ليس بموافق للشرع اخرجه عن ولاية الله بالكلية وان كان مجتهداً مخطئاً ، وخيار الامور اوساطها وهو ان لايجعل معصوما ولا مأثوما اذا كان مجتهداً مخطئاً فلا يتبع في كلما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به ورسوله ، واما اذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين لم يكن لاحد ان يلزمه بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال « قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فعمر منهم » وروى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ انه قال « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » وفي حديث آخر ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه (وفيه) لو كان نبي بعدى لكان عمر ، وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما كنا نبعد ان السكينة تنطق على لسان عمر . ثبت هذا عنه من رواية الشعبي . وقال ابن عمر ما كان عمر يقول في شيء : اني لاراه كذا ، الا كان كما يقول . وعن قيس بن طارق قال كنا نتحدث ان عمر ينطق على لسانه ملك . وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فانه تتجلى لهم أمور صادقة .

وهذه الامور الصادقة التي اخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه انها تتجلى للمطيعين هى الامور التي يكشفها الله عز وجل لهم . فقد ثبت ان لاولياء الله مخاطبات ومكاشفات ؛ فافضل هؤلاء في هذه الامة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر

وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بانه محدث في هذه الامة فاي محدث ومخاطب فرض في امة محمد ﷺ فعمر افضل منه ، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين ، والحديث

معروف في البخارى وغيره فان النبي ﷺ قد اعتمر سنة ست من الهجرة ومعه المسلمون نحو الف واربعمائة وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم على أن يرجع في ذلك العام ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر ، فشق ذلك على كثير من المسلمين وكان الله ورسوله اعلم واحكم بما في ذلك من المصلحة ، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ يارسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى . قال أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال له النبي ﷺ « اني رسول الله وهو ناصري ولست أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا انا نأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلى . قال « أقلت لك إنك تأتيه العام ؟ قال لا ، قال : انك آتيه ومطوف به » فذهب عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما فقال له مثل ما قال النبي ﷺ ورد عليه ابو بكر مثل جواب النبي ﷺ ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ فكان أبو بكر رضى الله عنه اكمل موافقه لله وللنبي ﷺ من عمر ، وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك أعمالا

وكذلك لما مات النبي ﷺ انكر عمر موته اولا ، فلما قال ابو بكر انه مات رجع عمر عن ذلك

وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لابي بكر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها » فقال له ابوبكر رضي الله عنه الم يقل « الا بحقها » فان الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فوالله ماهو الا ان رأيت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال ، فعلمت انه الحق

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رضى عنه محدث فان مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث لان الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي ﷺ ، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة

رضي الله عنهم ويناظرهم ويرجع اليهم في بعض الامور وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويقررهم على منازعته ولا يقول لهم أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم ان تقبلوا مني ولا تعارضوني ، فأي احد ادعى أو ادعى له أصحابه انه ولي لله وانه مخاطب يجب على اتباعه ان يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون ، ومثل هذا من أضل الناس ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل منه وهو امير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله ، وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الامة وائمتها على أن كل احد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول ﷺ .

وهذا من الفروق بين الانبياء وغيرهم ، فان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل ، وتجب طاعتهم في ما يأمرون به بخلاف الاولياء فانهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً ؛ وان كان صاحبه من اولياء الله ، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ، لكنه اذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من الخطأ المغفور اذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فان الله تعالى يقول (فاتقوا الله ما استطعتم) وهذا تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ، وان يذكر فلا ينسى ؛ وان يشكر فلا يكفر ، اي بحسب استطاعتكم فان الله تعالى لا يكلف نفساً الا وسعها كما قال تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وقال تعالى (واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً الا وسعها) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الايمان بما جاءت به الانبياء في غير موضع كقوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق

ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيــون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعـالى (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هــدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقال تعـالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ؟ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وانه ليس فيهم معصوم يسوغ له او لغيره اتبــاع ما يقع في قلبــه من غير اعتبار بالكتاب والسنة وهو مما اتفق عليه أوليــاء الله عز وجل من خالف في هذا فليس من اوليــاء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم بل اما ان يكون كافراً واما أن يكون مفرطا في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ كقول الشيخ أبي سليمان الدراني : انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين : الكتاب والسنة .

وقال ابو القاسم الجنيد رحمة الله عليه . علمنا هــذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له ان يتكلم في علمنــا أو قال لا يقتدى به .

وقال ابو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كلامه القديم (وان تطيعوه تهتدوا)

وقال ابو عمرو بن نجيد : كل وَجْد لا يشهد له الكتاب والسنة فهوباطل .

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص انه ولي لله ، ويظن

ان ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم اليه كل ما يقوله ويسلم اليه كل ما يفعله وان خالف الكتاب والسنة فيوافق ذلك الشخص له ، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر وجعله الفارق بين اوليائه واعدائه ، وبين اهل الجنة واهل النار ، وبين السعداء والاشقياء ، فمن اتبعه كان من اولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين ومن لم يتبعه كان من اعداء الله الخاسرين المجرمين فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص اولا الى البدعة والضلال وآخرا الى الكفر والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه . يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا) وقوله تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعاً وان الله شديد العذاب * اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) .

وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما امروا الا ليعبدوا الها واحداً لااله الا هو سبحانه عما يشركون) وفي المسند وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية لما سأل النبي ﷺ عنها فقال : ما عبدوهم ؛ فقال النبي ﷺ « احلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم وكانت هذه عبادتهم اياهم » ولهذا قيل في مثل هؤلاء انما حرموا الوصول بتضييع الاصول ، فان اصل الاصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول ﷺ ، فلا بد من الايمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول ﷺ فلا بد من الايمان بان محمداً رسول الله ﷺ الى جميع الخلق ،

انسهم وجنهم ، وعربهم وعجمهم ، علمائهم وعبادهم ملوكهم وسوقتهم ، وانه لا طريق الى الله عز وجل لاحد من الخلق الا بمتابعته باطناً وظاهراً حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الانبيا. لوجب عليهم اتباعهم كما قال تعالى (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم آصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون)* قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وامره ان يأخذ على امته الميثاق لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا * واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا * فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احساناً وتوفيقاً * اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغاً * وما ارسلنا من رسول الا ليطاع بأذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ، فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) .

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله فانه بنى أمره على أنه ولي لله وأن ولي الله لا يخالف في شيء. ولو كان هذا الرجل من اكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ، فكيف اذا لم يكن كذلك ، وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الامور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير الى شخص فيموت أو يطير في الهواء الى مكة أو غيرها أو يمشي على الماء احيانا أو يملأ ابريقاً من الهواء أو ينفق بعض الاوقات من الغيب

أو ان يختفي احيانا عن أعين النـاس أو ان بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته او يخبر الناس بما سُرق لهم ، او بحال غائب لهم او مريض او نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور مايدل على ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق أولياء الله على ان الرجل لو طار في الهواء او مشي على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لامره ونهيه.

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الامور ، وهذه الامور الخارقة للعادة وان كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله . فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لاهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الامور انه وليلله ، بل يعتبر أولياء الله بصـفاتهم وافعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة .

مثال ذلك ان هذه الامور المذكورة وامثالها قد توجد في اشخاص ويكون احدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة ،بل يكون ملابساً للنجاسات معاشراً للكلاب ، يأوى الى الحمامات والقماين والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف وقد قال النبي ﷺ « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب » وقال عن هذه الاخليـة « ان هذه الحشوش محتضرة » أي يحضرها الشيطان وقال « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم »

وقال« ا ن الله طيب لا يقبل الا طيبا » وقال « ان الله نظيف يحب النظافة» وقال « خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور» وفي رواية « الحية والعقرب» وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب وقال « من اقتنى كلبا لا يغني عنه زرعا ولا ضرعا نقص من عمله كل يوم قيراط » وقال « لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب » وقال : اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبع مرات احداهن بالتراب.وقال تعالى : (ورحمتي وسعت

كل شي فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ؛ الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذي يجدونه مكتوباعندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

فاذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان او ياوى الى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين . او ياكل الحيات والعقارب والزنابير ؛ واذان الكلاب التي هى خبائث وفواسق او يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، او يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه اليها او يسجد الى ناحية شيخه ؛ ولا يخلص الدين لرب العالمين ، او يلابس الكلاب او النيران او ياوى الى المزابل والمواضع النجسة او ياوى الى المقابر ولا سيأ الى مقابر الكفار من اليهود والنصارى او المشركين ، او يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الاغاني والاشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات اولياء الشيطان لا علامات اولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله ورسوله

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود الذكر ينبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقل والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل .

وان كان الرجل خبيراً بحقائق الايمان الباطنة فارقا بين الاحوال الرحمانية والاحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم) وقال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جلعناه نورا نهدى به من نشاء من

عبادنا) فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذى رواه الترمذىعن ابي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال « اتقوا فراسة المؤمن فانهينظر بنور الله » قال الترمذى حديث حسن . وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : لا يزال عبدي يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه .

فاذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال اولياء الرحمن واولياء الشيطان كما يفرق الصيرفى بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الردىء ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان ، وكما انه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبي الكذاب فيفرق بين محمد الصادق الامين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم ، وبين مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة الاسدي والحرث الدمشقى ، وباباه الرومي ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين .

فصل

والحقيقة حقيقة الدين دين رب العالمين هى ما اتفق عليها الانبياء والمرسلون وان كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة هى الشريعة قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ، انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)

والمنهاج هو الطريق قال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا

أنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً)

فالشرعة بمنزلة الشرائعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الاسلام، وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره، فمن استسلم لغيره كان مشركا، والله (لا يغفر أن يشرك به) ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيه (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

ودين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) عام في كل زمان ومكان .

فنوح وابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له قال الله تعالى عن نوح (ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم) الى قوله (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال السحرة (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال يوسف عليه السلام (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) وقالت بلقيس (أسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال تعالى (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والاحبار) وقال الحواريون (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)

فدين الانبياء واحد وان تنوعت شرائعهم كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انا معشر الانبياء ديننا واحد » قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ، فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون

فصل

وقد اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الانبياء أفضل من الاولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب فقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

وفي الحديث « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » وأفضل الامم أمة محمد ﷺ قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وأفضل أمة محمد ﷺ القرن الاول

وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه

وفي الصحيحين أيضاً عنه ﷺ أنه قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار أفضل من سائر الصحابة قال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) والسابقون الاولون الذين انفقوا من قبل الفتح وقاتلوا والمراد بالفتح صلح الحديبية فانه كان أول فتح مكة ، وفيه أنزل الله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فقالوا يارسول الله أو فتح هو ؟ قال نعم

وأفضل السابقين الاولين الخلفاء الاربعة وافضلهم ابو بكر ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الامة وجماهيرها وقد دلت على ذلك دلائل بسطناها في منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة على ان افضل هذه الامة بعد نبيها واحد من الخلفاء. ولا يكون من بعد الصحابة افضل من الصحابة ، وافضل أولياء الله تعالى اعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعا له كالصحابة الذين هم اكمل الامة في معرفة دينه واتباعه ، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملا به ، فهو أفضل أولياء الله اذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الامم وأفضلها أصحاب محمد ﷺ ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه

وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الاولياء افضل الاولياء قياساً على خاتم الانبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمد بن على الحكيم الترمذي ، فانه صنف مصنفا غلط فيه في مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الاولياء ، ومنهم من يدعى أن خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من جهة العلم بالله ، وأن الانبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وكتاب الفصوص ، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه كما يقال لمن قال (فخر عليهم السقف من تحتهم) لا عقل ولا قرآن

ذلك أن الانبياء افضل في الزمان من اولياء هذه الامة ، والانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام افضل من الاولياء فكيف الانبياء كلهم ؟ والاولياء انما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الاولياء وليس آخر الاولياء أفضلهم كما أن آخر الانبياء أفضلهم فان فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وقوله : آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك

وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الانبياء كلهم فكان احقهم بقوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتيه الوحي من الله لا سيما محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجا الى غيره فلم تحتج شريعته الى سابق ولا الى لاحق بخلاف المسيح احالهم في اكثر الشريعة على التوراة وجاء المسيح فكملها ولهذا كان النصارى

محتاجين الى النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور وتمام الاربع وعشرين نبوة وكان الامم قبلنا محتاجين الى محدثين بخلاف امة محمد ﷺ فان الله أغناهم به فلم يحتاجوا معه الى نبي ولا الى محدث بل جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال الصالحة مافرقه في غيره من الانبياء فكان مافضله الله به من الله بما أنزله اليه وأرسله اليه لا بتوسط بشر .

وهذا بخلاف الاولياء ، فان كل من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون ولياً لله الا باتباع محمد ﷺ ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد ﷺ وكذلك من بلغه رسالة رسول اليه لا يكون ولياً لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل اليه .

ومن ادعى ان من الاولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهذا كافر ملحد ، واذا قال انا محتاج الى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ؛ فهوشر من اليهود والنصارى الذين قالوا : ان محمداً رسول الى الاميين دون أهل الكتاب ، فان ألئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفاراً بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول ان محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ، وهو أكفر من اولئك ، لان علم الباطن الذي هو علم ايمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة

فاذا ادعى المدعي ان محمداً ﷺ انما علم هذه الامور الظاهرة دون حقائق الايمان ، وانه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنه ، فقد ادعى ان بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الاخر وهذا شر ممن يقول اومن ببعض وأكفر ببعض ، ولا يدعي ان هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين

وهؤلاء الملاحدة يدعون ان الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته افضل من نبوته وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون نحن شاركناه في ولايته التي هي اعظم من رسالته ، وهذا من اعظم

ضلالهم ، فان ولاية محمد لم يماثله فيها احد لا ابراهيم ولا موسى ، فضلا عن ان يماثله هؤلاء الملحدون .

وكل رسول نبي ولي فالرسول نبي ولي . ورسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة لولايته ، واذا قدروا مجرد انباء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع ، فانه حال انبائه اياه ممتنع ان يكون الا ولياً لله ولا تكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة لم يكن احد مماثلا للرسول في ولايته .

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب الفصوص ابن عربي : انهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، وذلك انهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ثم اخرجوها في قالب المكاشفة ، وذلك ان المتفلسفة الذين قالوا ان الافلاك قديمة أزلية لها علة تتشبه بها كما يقوله أرسطو وأتباعه او لها موجب بذاته كما يقوله متأخروهم كابن سينا وأمثاله ولا يقولون انها لرب خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الاشياء بمشيئته وقدرته ولا يعلم الجزئيات بل اما أن ينكروا علمه مطلقاً ، كقول ارسطو ، او يقولوا انما يعلم في الامور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا ، وحقيقة هذا القول انكار علمه بها فان كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الافلاك كل معين منها جزئي وكذلك جميع الاعيان وصفاتها وافعالها ، فمن لم يعلم الا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات والكليات انما توجد كليات في الاذهان لا في الاعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر في رد تعارض العقل والنقل وغيره فان كفر هؤلاء اعظم من كفر اليهود والنصارى ، بل ومشركي العرب ، فان جميع هؤلاء يقولون ان الله خلق السموات والارض ، وانه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته وارسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان كانوا يعبدون الكواكب والاصنام ، وهم لا يعرفون الملائكة والانبياء ، وليس في كتب ارسطو ذكر شيء من ذلك ، وانما غالب علوم القوم الامور الطبيعية ، واما الامور الالهية فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيئات منهم بكثير ، ولكن متأخروهم كابن سينا أرادوا أن يلفقوا بين كلام اولئك وبين

ما جاءت به الرسل فأخذوا أشياء من اصول الجهمية والمعتزلة ، وركبوا مذهباً قد يعتزى اليه متفلسفة اهل الملل ، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع .

وهؤلاء لما رأوا امر الرسل كموسى وعيسى ومحمد ﷺ قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد ﷺ أعظم ناموس طرق العالم ، ووجدوا الانبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، ارادوا أن يجمعوا بين ذلك وبين اقوال سلفهم اليونان الذين هم ابعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد اثبتوا عقولا عشرة يسمونها المجردات والمفارقات . واصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، وسموا تلك المفارقات لمفارقتها المادة وتجردها عنها . واثبتوا الافلاك لكل فلك نفساً ، وأكثرهم جعلوها اعراضاً ، وبعضهم جعلها جواهر .

وهذه المجردات التي اثبتوها ترجع عند التحقيق الى امور موجودة في الاذهان لا في الاعيان ، كما اثبت اصحاب افلاطون الامثال الافلاطونية المجردة اثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ومدة وخلا مجردين ، وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك انما يتحقق في الاذهان لا في الاعيان ؛ فلما اراد هؤلاء المتأخرون منهم كابن سينا ان يثبت امر النبوات على أصولهم الفاسدة وزعموا ان النبوة لها خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي :

(١) أن تكون له قوة علمية يسمونها القوة القدسية ينال بها من العلم بلا تعلم

(٢) وأن يكون له قوة تخيلية تخيل له ما يعقل في نفسه بحيث يرى في نفسه صوراً او يسمع في نفسه اصواتاً كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله وتلك الاصوات هي كلام الله تعالى

(٣) وأن يكون له قوة فعالة يؤثر بها في هيولى العالم وجعلوا معجزات الانبياء وكرامات الاولياء وخوارق السحرة ، هي قوى انفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم من قلب العصا حية دون انشقاق القمر ونحو ذلك فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع وبينا أن كلامهم هذا افسد

الكلام وان هذا الذي جعلوه من الخصائص التي تحصل ما هو اعظم منه لآحاد العامة ولاتباع الانبيـاء. وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله وهم كثيرون كما قال تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو) وليسوا عشرة وليسوا أعراضاً لا سيما وهؤلاء يزعمون ان الصادر الاول هو العقل الاول وعنه صدر كل ما دونه ، والعقل الفعال العاشر رب كل ماتحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس احد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله . وهؤلاء يزعمون ان العقل المذكور في حديث يروى « ان أول ما خلق الله العقل ، فقال له اقبل ، فأقبل ، فقال له : ادبر ، فأدبر ، فقال وعزتي ما خلقت خلقا أكرم علي منك ، فبك آخذ وبك أعطي ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه ايضا القلم لما روى « ان أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذي .

والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند اهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك ابو حاتم البستي والدارقطني وابن الجوزي وغيرهم ، وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ، ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم فان لفظه « اول ما خلق الله تعالى العقل قال له ــ ويروى ــ لما خلق الله العقل قال له » فمعنى الحديث انه خاطبه في اول اوقات خلقه ؛ ليس معناه انه اول المخلوقات (واول) منصوب على الظرف كما في اللفظ الاخر (لما) وتمام الحديث « ما خلقت خلقا اكرم علي منك » فهذا يقتضي انه خلق قبله غيره ، ثم قال « فبك آخذ وبك اعطي ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر اربعة انواع من الاعراض وعندهم ان جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم ان لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا كما في القرآن (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (او لم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون

بها) ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الانسان يعقل بها .

وأما أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل وليس هـذا مطابقاً لغة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عنـدهم كما يذكره أبو حامد عالم الاجسام العقل والنفوس فيسميها عالم الامر ، وقد يسمى (العقل) عالم الجبروت (والنفوس) عالم الملكوت ؛ والاجسام عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغـة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة ان ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا وليس الامر كذلك

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيساً كثيراً كاطلاقهم ان الفلك محـدث أى معلول مع أنه قديم عندهم والمحدث لا يكون الا مسبوقا بالعدم ، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد انه يسمى القديم الازلي محدثا ، والله قد أخبر انه خالق كل شيء ، وكل مخلوق فهو محدث ، وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسـول ولا احكموا فيها قضـايا العقول ، فلا للاسلام نصروا ، ولا للاعداء كسروا ، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من اسباب قوة ضلال أولئك كما قد بسط في غير هذا الموضع

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ ، والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله ، وان أولياء الله افضل من انبياء الله ، وانهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربي صاحب الفتوحات والفصوص ، فقال انه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل والملك هو الخيال والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ماذكروه ولم يكن هو من جنسـه فضلا عن أن يكون فوقه فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين ، والنبوة أمر وراء ذلك فان ابن عربي وأمثاله وان ادعوا أنهم من

الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ليسوا من صوفية اهل العلم فضلا عن ان يكونوا من مشايخ اهل الكتاب والسنة كالفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل ابن عبد الله التستري وامثالهم رضوان الله عليهم أجمعين ، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء كقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين يديهم وما خلفهم ولا تشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (وله من في السموات والارض ومن عنده لا تستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون • يسبحون الليل والنهار لا يفترون)

وقد أخبر أن الملائكة جاءت لابراهيم عليه السلام في صورة البشر ، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سويا ، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وفي صورة أعرابي ، ويراهم الناس كذلك

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين. وأن محمداً ﷺ رآه بالافق المبين. ووصفه بأنه شديد القوى ،ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى . ولقد رأى من آيات ربه الكبرى

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين يعنى المرةالاولى بالافق الاعلى ، والنزلة

الاخرى عند سدرة المنتهى . ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بانه الروح الامين ، وانه روح القدس ، الى غير ذلك من الصفات التي تبين انه من أعظم مخلوقات الله تعالى الاحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالا في نفس النبي كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ،والمدعون ولاية الله وأنهم أعلم من الانبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الايمان بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فان الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، كما تشترك الاناسي في مسمى الانسان والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركاً كلياً الاّ في الذهن ، والاّ فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم قول فرعون الذي عطل الصانع ، فانه لم يكن منكراً هذا الموجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضلّ منه وان كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عُباد الاصنام ما عبدوا الا الله ، وقالوا لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف وان جاز في العرف الناموس ، كذلك قال أنا ربكم الاعلى ـ أي وان كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الاعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم .

قالو : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له بذلك وقالو (اقض ما أنت قاض ، انما تقضي هذه الحياة) قالوا : فصح قول فرعون (أنا ربكم الاعلى) وكان فرعون عين الحق ، ثم انكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجعلوا أهل النار يتنعمون كما يتنعم أهل الجنة ، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وانهم أفضل من الانبياء وأن الانبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط إلحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله وهم من أعظم الناس ولاية للشيطان ، نبهنا على ذلك . ولهـذا عامة كلامهم انما هو في الحالات الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب الفتوحات (باب أرض الحقيقة) ويقولون هي ارض الخيال . فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الامور بخلاف ما هي . قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعـد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيـدا) الى قوله (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) وقال تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا انفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، اني كفرت بما اشركتموني من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم) وقال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم ، اني أرى مالا ترون ، اني أخاف الله والله شديد العقاب)

وقد روى عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنه رأى جبريل يزع الملائكة والشياطين اذا رأت ملائكة الله التي يؤيد بها عبـاده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته . قال تعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) وقال تعالى (اذ يقول لصـاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وقال تعالى (اذ تقول للمؤمنين : ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف

من الملائكة منزلين. بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا مايمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)

وهؤلاء يأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم ، وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة ، كالاوواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والاصنام وكان من اول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام: المختار ابن أبي عبيد الذي اخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ انه قال « سيكون في ثقيف كذاب ومبير» وكان الكذاب : المختار بن ابي عبيد ، والمبير : الحجاج بن يوسف. فقيل لابن عمر وابن عباس ان المختار يزعم انه ينزل اليه ، فقالا : صدق ، قال الله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك اثيم) وقال الآخر وقيل له ان المختار يزعم انه يوحى اليه ، فقال : قال الله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم)

وهذه الارواح الشيطانية هي الروح الذي يزعم صاحب الفتوحات انه القى اليه ذلك الكتاب . ولهذا يذكر انواعا من الخلوات بطعام معين وشيء معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالا بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الاولياء ، وانما هو من الاحوال الشيطانية ، واعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء الى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتي بمال مسروق تسرقه الشياطين وتاتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو بعطاء يعطونه اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت احوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كما يوجد في كلام صاحب الفتوحات المكية والفصوص واشباه ذلك يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وهارون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد ابن محمد وسهل بن عبد الله التستري ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فان الجنيد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال : التوحيد افراد الحدوث عن القدم . فبين

ان التوحيد ان تميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق . وصاحب الفصوص انكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : ياجنيد هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله (افراد الحدوث عن القدم) لان قوله هو (ان وجود المحدث هو عين وجود القديم) كما قاله في فصوصه : ومن اسمائه الحسنى « العلي » على من؟وما ثم الا هو ، وعن ماذا ؟ وما هو الا هو، فعلوه لنفسه وهو عين الموجودات،فالمسمى محدثات هي العلية لذاته وليست الا هو - الى ان قال :

هو عين ما بطن وهو عين ما ظهر ، وما ثم من يراه غيره وما ثم من ينطق عنه سواه ، وهو المسمى ابو سعيد الخراز وغير ذلك من الاسماء المحدثات .

فيقال لهذا الملحد : ليس من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول ان يكون ثالثا غيرهما ، فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره ، وليس هو ثالث ، فالعبد يعرف انه عبد ويميز بين نفسه وبين خالقه ، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ، وانهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهراً . وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم وهو احذقهم في الحادهم - لما قرىء عليه الفصوص فقيل له : القرآن يخالف فصوصكم . فقال : القرآن كله شرك ، وانما التوحيد من كلامنا .فقيل له : فاذا كان الوجود واحداً فلم كانت الزوجه حلالا والاخت حراما ؟ فقال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام ، فقلنا حرام عليكم .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهر فان الوجود اذا كان واحداً فمن المحجوب ومن الحاجب ؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده : من قال لك ان في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له مريده : فمن هو الذي يكذب ؟ وقالوا لآخر : هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر أم هي ؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة وان كانت اياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع اخر وبينا حقيقة قول كل واحد منهم ، وان صاحب الفصوص يقول المعدوم شيء ووجـود الحق فاض عليهما فيفرق بين الوجود والثبوت . والمعتزلة الذين قالوا : المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه ، فان اولئك قالوا ان الرب خاق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب . وهذا زعم ان عين وجود الرب فاض عليهما فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق . صاحبه الصدر القونوى يفرق بين المطلق والمعين لانه كان اقرب الى الفلسفة فلم يقر بأن المعدوم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود .

وهذا القول ادخل في تعطيل الخالق وعدمه ، فان المطلق بشرط الاطلاق وهو الكلي العقلي لا يكون الا في الاذهان لا في الاعيـان ، والمطلق لا بشرط وهو الكلي الطبيعي وان قيل انه موجود في الخارج فلا يوجد في الخارج الا معيناً وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج ، فيلزم أن يكون وجود الرب إما منتفياً في الخارج ، واما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات واما ان يكون عين وجود المخلوقات . وهل يخلق الجزء الكل ام يخلق الشيء نفسه ، ام العدم يخلق الوجود ، او يكون بعض الشيء خالقاً لجميعه ؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لانه يقتضي حالا ومحلا ، ومن لفظ الاتحـاد لانه يقتضى شيئين اتحد احدهما بالاخر وعندهم الوجود واحد . ويقولون : النصارى انما كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله ، ولو عمموا لما كفروا .

وكذلك يقولون في عباد الاصنام : انمـا اخطأوا لمـا عبدوا بعض المظاهر دون بعض فلو عبدوا الجميع لمـا اخطأوا عندهم . والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الاصنام .

وهذا مع مافيه من الكفر العظيم ففيـه ما يلزمهم دائماً من التناقض ، لانه يقال لهم : فمن المخطىء ؟ لكنهم يقولون : ان الرب هوالموصوف بجميع النقائص التى يوصف بها المخلوق . ويقولون ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التى يوصف بها الخالق . ويقولون ما قاله صاحب الفصوص ؟ فالعلي لنفسـه هو الذي

يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفاً او عقلاً او شرعاً ، او مذمومة عرفا وعقلا وشرعاً ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة .

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فانه معلوم بالحس والعقل ان هذا ليس هو ذاك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمسانى : انه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل . ويقولون : من اراد التحقيق (يعنى تحقيقهم) فليترك العقل والشرع .

وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم ان كشف الانبياء اعظم واتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم انه ممتنع ، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع أن يكون في اخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والاخر سمعياً ، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض صريح الشرع والعقل ؟

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبيسات الشياطين .

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدمون الاولياء على الانبياء ، ويذكرون ان النبوة لم تنقطع كما يذكر عن ابن سبعين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة يقولون العبد يشهد أولا طاعة معصية ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية ، والشهود الاول هو الشهود الصحيح وهو الفرق بين الطاعات والمعاصى ، واما الشهود الثاني فيريدون به شهود القدر كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب يعصي ، وهذا يزعم أن المعصية مخالفة الارادة التى هي المشيئة . والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة ويقول شاعرهم .

أصبحت منفعلا لما تختاره منى ففعلى كله طاعات

ومعلوم ان هذا خلاف ما أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، فان المعصية

التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسـوله كما قال تعالى (تلك حدود الله ومن يطع لله ووسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وسنذكر الفرق بين الارادة الكونية والدينيـة والامر الكوني والديني .

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها الجنيد رحمه الله لهم ، من اتبع الجنيد فيها كان على السـداد ، ومن خالفه ضل ، لانهم تكلفوا بأن الامور كلها بمشيئة الله وقدرته ، وفي شهود هذا التوحيد ، وهذا يسمونه الجمع الاول فبين لهم الجنيد انه لابد من شهود الفرق الثاني ، وهو إنه مع شهود كون الاشياء كلها مشتركة في مشيئة الله وقدرته وخلقـه يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنهويكرههويسخطه ، ويفرق بين أوليائه وأعدائه كما قال تعـالى (افنجعل المسلمين كالمجرمين ? مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (ام حسب الذين اجترحوا السيئات اننجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون)

ولهذا كان مذهب سلف الامه وأئمتهـا ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ؛ لا رب غيره ، وهو مع ذلك امر بالطـاعة ، ونهى عن المعصية . وهو لا يحب الفسـاد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، وان كانت واقعـة بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها ، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم

وأما المرتبة الثالثةان لا يشهد طاعةولا معصية ــ فانه يرى ان الوجود واحد ، وعندهم ان هذا غاية التحقيق والولاية لله ؛ وهو في الحقيقة غاية الالحاد في أسماء الله وآياته وغاية العداوة لله فان صاحب هـذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ، وقد قال تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) ولا يتبرأ من الشرك والاوثان فيخرج عن ملة ابراهيم الخليل صـلوات الله وسلامه عليه ؛ قال

الله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين (أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) وقال تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك يقول فيها :

لها صلاتي بالمقام أقيمها ... واشهد فيها أنها لي صلت

كلانا مصلّ واحد ساجد الى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سوائي ولم تكن ... صلاتي لغيري في ادا كل ركعة

* (الى ان قال) *

وما زلت اياها واياي لم تزل ... ولا فرق بين ذاتي لذاتي صلت

اليّ رسولا كنت مني مرسلا ... وذاتي بآياتي عليّ استدلت

فان دعيت كنت المجيب وان أكن ... منادى أجابت من دعاني ولبت

الى أمثال هذا الكلام ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

ان كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت نفسي بها زمنا ... واليوم أحسبها اضغاث احلام

فانه كان يظن انه هو الله فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فجميع ما في السموات والارض يسبح لله ليس هو الله ثم قال تعالى (له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة

والانجيل والقرآن ، اعوذ بك من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها . انت الاول فليس قبلك شيء ، وانت الآخر فليس بعدك شيء ، وانت الظاهر فليس فوقك شيء ، وانت الباطن فليس دونك شيء . اقض عني الدين واغنني من الفقر . ثم قال (هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) فذكر ان السموات والارض ، وفي موضع آخر (وما بينهما) مخلوق مسبح له ، وأخبر سبحانه انه يعلم كل شيء .

واما قوله (وهو معكم) فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب ان يكون احد الشيئين مختلطاً بالآخر كقوله تعالى (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) وقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) ولفظ (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة فالعامة فيهذه الآية وفي آية المجادلة (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادني من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثورى واحمد بن حنبل هو معهم بعلمه .

واما المعية الخاصة ففي قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقوله تعالى لموسى (انني معكما اسمع وارى) وقال تعالى (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) يعني النبي ﷺ وابا بكر رضى الله عنه ، فهو مع موسى وهرون دون فرعون ومع محمد وصاحبه دون ابي جهل وغيره من اعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين .

فلو كان معنى المعية انه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى انه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك وقوله تعالى (وهو الذى في السماء إله وفي الارض إله) اى هو إله من في السموات وإله من في الارض كما قال الله تعالى (وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) وكذلك

قوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) كما فسره أئمــة العلم كالامام احمد وغيره انه المعبود في السموات والارض .

واجمع سلف الأمة وأئمتها على ان الرب تعالى باين من مخلوقاته ، يوصف بمـا وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تـكييف ولا تمثيل ،يوصف بصفات الـكمال دون صفات النقص ، ويعلم انه ليس كمثله شيء ، ولا لقوله في شيء من صفات الـكمال كما قال الله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يـكن له كفواً أحد) قال ابن عباس : الصمد العليم الذي كمل في علمه ، العظيم الذي كمل في عظمته ، القدير الـكامل في قدرته ، الحـكيم الـكامل في حـكمته السيد الـكامل في سؤدده .

وقال ابن مسعود وغيره : هو الذي لا جوف له . والاحد الذي لا نظير له . فاسمه (الصمد) يتضمن اتصافه بصفات الـكمال ونفي النقائص عنــه ، واسمه (الاحد) يتضمن اتصافه انه لا مثل له . وقد بسطنا الـكلام على ذلك في تفسير هذه السورة وفي كونها تعدل ثلث القرآن .

فصل

وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق الامرية الدينية الايمانية بالحقائق الخلقية القدرية الـكونية ، فان الله سبحانه وتعالى له الخلق والامر كما قال تعــالى (ان ربـكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين) فهو سـبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ، لا خالق غيره ، ولا رب سواه ، ما شاء كان وما لم يشــأ لم يـكن ، فـكل ما في الوجود من حركة وسـكون فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله ، أمر بالتوحيد والاخلاص ، ونهى عن الاشراك بالله فأعظم الحسنات التوحيــد ، وأعظم السيئات الشرك . قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال

تعالى (ومن الناس من يتخـذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ؛ والذين آمنوا أشد حباً لله) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ثم اي ؟ قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي ؟ قال ان تزني بحليلة جارك . فأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبـدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) .

وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، واخبر انه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب المقسـطين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يقاتلون في سـبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، وهو يكره ما نهى عنه كما قال في سورة سبحان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين وأمر بايتاء ذي القربي الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقتير ، وان يجعل يده مغلولة الى عنقـه ، وان يبسطها كل البسط ، ونهى عن قتـل النفس بغير الحق ، وعن الزنا وعن قربان مال اليتيم الا بالتي هي احسن الى ان قال (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبـد مأمور ان يتوب الى الله تعالى دائماً قال الله تعالى (وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون)

وفي صحيح البخارى عن النبي ﷺ انه قال « أيها النـاس توبوا الى ربكم ، فوالذى نفسى بيده اني لاستغفر الله واتوب اليـه في اليوم اكثر من سبعين مرة » وفي صحيح مسلم عنه ﷺ انه قال « انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة » وفي السنن عن ابن عمر قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول « رب اغفر لى وتب عليّ انك انت التواب الرحيم مائة مرة » أو قال « اكثر من مائة مرة » .

وقد أمر الله سبحانه ان يختموا الاعمال الصالحات بالاستغفار فكان النبي ﷺ اذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثا ويقول « اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه وقد قال تعالى (والمستغفرين بالاسحار) فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالاسحار وكذلك ختم سورة المزمل وهى سورة قيام الليل بقوله تعالى (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) وكذلك قال في الحج (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم) بل انزل سبحانه وتعالى في آخر الامر لما غزا النبي ﷺ غزوة تبوك وهي آخر غزواته (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) وهى آخر ما نزل من القرآن ، وقد قيل : ان آخر سورة نزلت قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فأمره تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها انه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى ــ يتأول القرآن »

وفي الصحيحين عنه ﷺ انه كان يقول « اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى ، واسرافي في أمرى ، وما انت اعلم به منى . اللهم اغفر لى هزلى وجدى ، وخطئي وعمدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت ، وما اسررت وما اعلنت ، لا اله الا انت ، وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال يارسول الله علمنى دعاء أدعو به في صلاتى ، قال « قل اللهم اني ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور الرحيم »

وفي السنن عن أبي بكر رضي الله عنه قال يارسول الله علمني دعاء أدعو به اذا أصبحت واذا أمسيت ، فقال « قل : اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد ان لا إلة الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه، وان أقترف على نفسي سوءاً أو أجره الى مسلم » قله إذا اصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك .

فليس لاحد ان يظن استغناءه عن التوبة الى الله والاستغفار من الذنوب ، بل كل احد محتاج الى ذلك دائما . قال الله تبارك وتعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيما) فالانسان ظالم جاهل وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » وهذا لا ينافي قوله (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الايام الخالية) فان الرسول نفى باء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت باء السبب .

وقول من قال : اذا احب الله عبداً لم تضره الذنوب ، معناه أنه اذا احب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من اصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة ، واجماع السلف والائمة ، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وانما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)

ومن ظن ان القدر حجة لاهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله

تعالى عنهم (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) قال الله تعالى راداً عليهم (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

ولو كان القدر حجة لاحد لم يعذب الله المكذبين للرسل كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات، وقوم فرعون ، ولم يأمر باقامة الحدود على المعتدين ، ولايحتج أحد بالقدر الا اذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله ، ومن رأى القدر حجة لاهل الذنوب يرفع عنهم الذم والعقاب فعليه ان لا يذم احداً ولا يعاقبه اذا اعتدى عليه ، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الالم ، فلا يفرق بين من يفعل معه خيراً وبين من يفعل معه شراً ، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعا،وقد قال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) وقال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون) وقال تعالى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) أي مهملاً لا يؤمر ولا ينهى .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال « احتج آدم وموسى ، قال موسى يا آدم انت ابو البشر ،خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، أخرجتنا ونفسك من الجنة ، فقال له آدم : انت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ، فبكم وجدت مكتوباً علي قبل ان اخلق (وعصى آدم ربه فغوى) ؟ قال باربعين سنة ، فلم تلومني على أمر قدره الله علي قبل أن اخلق بأربعين سنة ؟ قال : فحج آدم موسى » أي غلبه بالحجة .

وهذا الحديث ضلت فيه الطائفتان : طائفة كذبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى الله لاجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة ، وقد يقولون القدر حجة لاهل الحقيقة الذين شهدوه او الذين لا يرون ان لهم فعلا ، ومن الناس من قال انما حج آدم موسى لانه ابوه ، أو لانه كان قد تاب ، أو لان الذنب كان في شريعة واللوم في اخرى ، أو لان هذا يكون في الدنيا دون الاخرى ،

وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث ان موسى عليه السلام لم يلم أباه الا لاجل المصيبة التي لحقتهم من اجل اكله من الشجرة فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منه ، فان موسى يعلم ان التائب من الذنب لا يلام وهو قد تاب منه أيضاً ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لاجل القدر لم يقل (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) والمؤمن مأمور عند المصائب ان يصبر ويسلم ، وعند الذنوب ان يستغفر ويتوب ، قال الله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) فأمره بالصبر على المصائب ، والاستغفار من المعائب .

وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم : فالمؤمنون اذا اصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل صبروا لحكم الله وان كان ذلك بسبب ذنب غيرهم كمن انفق ابوه ماله في المعاصي فافتقر اولاده لذلك فعليهم ان يصبروا لما اصابهم ، واذا لاموا الاب لحظوظهم ذكر لهم القدر .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله ، والرضا قد قيل انه واجب ، وقيل هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك ان يشكر الله على المصيبة لما يرى من انعام الله عليه بها ، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ، ورفع درجاته وانابته وتضرعه اليه ، واخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين ، واما اهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر اذا اذنبوا واتبعوا اهواءهم ، ويضيفون الحسنات الى انفسهم اذا انعم عليهم بها كما قال بعض العلماء . أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وأهل الهدى والرشاد اذا فعلوا حسنة شهدوا انعام الله عليهم بها وانه هو الذى أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة وألهمهم التقوى ، وأنه لاحول ولا قوة الا به فزال عنهم بشهود القدر العجب والمنّ والاذى ، واذا فعلوا سيئة

استغفروا الله وتابوا اليه منها ففي صحيح البخاري عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ «سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وأنا عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت» من قالها اذا اصبح موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة .

وفي الحديث الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال «ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا • يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا ابالي فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم . يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا • يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا : يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص البحر اذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة . يا عبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه»

فأمر سبحانه بحمد الله على مايجده العبد من خير وانه اذا وجد شراً فلا يلومن الا نفسه .

وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشيئته ، وبين الحقيقة الدينية الامرية المتعلقة برضاه ومحبته ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً لما أمر الله به على ألسن رسله ؛ وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ

الشريعة يتكلم به كثير من الناس ، ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذى بعث الله به رسوله ، فان هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر ؛ وبين الشرع الذى هو حكم الحاكم فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطىء . هذا إذا كان عالماً عادلا ، وإلا ففى السنن عن النبي ﷺ أنه قال : « القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض فى الجنة : رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضي للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو فيالنار » .

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد ادم محمد ﷺ .فقد ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال أنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار » فقد أخبر سيد الخلق أنه أذا قضي بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك لم يجز للمقضي له أن ياخذ ما قضى به له ، وانه انما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الاملاك المطلقة اذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر لم يجز للمقضى له أن ياخذ ما قضي به له بالاتفاق . وان حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك فاكثر العلماء يقول ان الامر كذلك وهو مذهب مالك والشافعي واحمد بن حنبل ؛ وفرق ابو حنيفة رضي الله عنه بين النوعين .

فلفظ الشرع والشريعة اذا اريد به الكتاب والسنة لم يكن لاحد من اولياء الله ولا لغيرهم ان يخرج عنه ، ومن ظن ان لاحد من اولياء الله طريقاً الى الله غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر . ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر كان غالطا من وجهين «أحدهما» ان موسى لم يكن مبعوثاً الى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباعه ، فان موسى كان مبعوثاً الى بني اسرائيل وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين ، الجن والانس ، ولو

أدركه من هو أفضل من الخضر كابراهيم وموسي وعيسى وجب عليهم اتباعه فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً ولهذا قال الخضر لموسى « أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ؛ وانت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » وليس لاحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ان يقول مثل هذا « الثاني » ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام ، وموسى لم يكن علم الاسباب التي تبيح ذلك فلما بينها له وافقه على ذلك فان خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة اهلها خوفاً من الظالم ان يأخذها احسان اليهم وذلك جائز ، وقتل الصائل جائز وان كان صغيراً ومن كان تكفيره لابويه لا يندفع الا بقتله جاز قتله .

قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان قال له: ان كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم والا فلا تقتلهم ، رواه البخاري . وأما الاحسان الى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع فهذا من صالح الاعمال فلم يكن في ذلك شيء مخالفا شرع الله .

واما اذا اريد بالشرع حكم الحاكم فقد يكون ظالماً وقد يكون عادلاً وقد يكون صواباً وقد يكون خطأ ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والاوزاعي والليث بن سعد والشافعي واحمد واسحق وداود وغيرهم ، فهؤلاء أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة ، واذا قلد غيره حيث يجوز ذلك كان جائزاً أي ليس اتباع احدهم واجباً على جميع الامة كاتباع الرسول ﷺ ، ولا يحرم تقليد أحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .

واما ان اضاف احد الى الشريعة ما ليس منها من احاديث مفتراة أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل ، والشرع المؤول ، والشرع المبدل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الامرية ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة وبين ما يكتفي فيها بذوق صاحبها ووجده .

فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الارادة والامر والقضاء والاذن والتحريم والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب اصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ؛ وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب عليه وأكرمهم ، وجعلهم من اوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من اعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من أوليائه ، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من اعدائه .

فالارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وارادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعا ودينا . وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح قال الله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وقال نوح عليه السلام لقومه (ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) وقال تعالى (واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وقال تعالى في الثانية (ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال في آية الطهارة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ان يطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيما . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) وقال لما ذكر ما أمر به ازواج النبي ﷺ وما نهاهم عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والمعني انه أمركم

بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فمن اطاع أمره كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس بخلاف من عصاه .

وأما الامر فقال في الامر الكوني (انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) وقال تعالى (وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر) وقال تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) وأما الامر الديني فقال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) وقال تعالى (ان الله يأمركم ان ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)

وأما الاذن فقال في الكوني لما ذكره السحر (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) أي بمشيئته وقدرته والا فالسحر لم يبحه الله عز وجل . وقال في الأذن الديني (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال تعالى(ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله)

وأما القضاء فقال في الكوني (فقضاهن سبع سموات في يومين) وقال سبحانه (اذا قضا أمراً فانما يقول له كن فيكون) وقال في الديني(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) اي امر وليس المراد به قدر ذلك فانه قد عبد غيره كما اخبر في غير موضع كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقول الخليل عليه السلام لقومه (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء)
وقال تعالى (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد

ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم ولا تقتضي رضاه بذلك كما قال تعالى في الآية الاخرى (فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون)

ومن ظن من الملاحدة ان هذا رضا منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم ، كمن ظن أن قوله (وقضى ربك) بمعنى قدر وان الله سبحانه ما قضى بشيء الا وقع ، وجعل عباد الاصنام ما عبدوا إلا الله ، فان هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب .

وأما لفظ البعث فقال تعالى في البعث الكوني (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) وقال في البعث الدينى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

وأما لفظ الارسال فقال في الارسال الكونى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) وقال تعالى (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) وقال في الدينى (انا أرسلناك شاهداً ومبشرا ونذيرا) وقال تعالى (انا أرسلنا نوحا الى قومه) وقال تعالى (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا) وقال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) واما لفظ الجعل فقال في الكونى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وقال في الدينى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقال تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)

وأما لفظ التحريم فقال في الكوني (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقال تعالى (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) وقال في الدينى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وقال تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ

وبنات الاخت) الاية . واما لفظ الكلمات فقال في الكلمات الكونية (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه كان يقول « أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق ومن غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » وقال ﷺ « من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » وكان يقول « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الا طارقاً يطرق بخير يارحمن ».

وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته . وأما كلماته الدينية وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ، فأطاعها الابرار ، وعصاها الفجار .

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية وجعله الديني واذنه الديني وارادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر فانه يدخل تحتها جميع الخلق حتي ابليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار ، فالخلق وان اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم فقد افترقوا في الامر والنهي والمحبة والرضا والغضب .

وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور ، فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه . وأعداؤه أولياء الشياطين وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ، ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم .

وبسط هذه الجمل له موضع آخر ، وانما كتبت هنا تنبيهاً على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ

فانه هو الذي فرق الله تعالي به بين أوليائه السعداء ، وأعـدائه الاشقياء ، وبين اوليائه أهل الجنة واعدائه اهـل النار ، وبين اوليائه اهل الهـدى والرشاد وبين اعدائه اهل الغي والضلال والفساد ، واعدائه حزب الشيطان واوليائه الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه . قال تعـالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله) الاية وقال تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) وقال في أعـدائه (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم) وقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) وقال (هل انبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك أثيم يلقـون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقـولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعمـلوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعـد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال تعالى (فلا اقسم بما تبصرون وما لاتبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . ولو تقـول علينـا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين . وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق القين . فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعـالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) الي قوله (ان كانوا صادقين) .

فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا ﷺ عمن تقترن به الشياطين من الكهان والشعراء والمجانين ، وبين ان الذى جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامـين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) وقال تعالى (قل من كان عـدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) الآية . وقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) الى قوله

(وبشرى للمسلمين) فسماه الروح الامين وسماه روح القدس وقال تعالى (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس) يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسة اي مختفية قبل طلوعها فاذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فاذا غربت ذهبت الى كناسها الذي يحجبها (والليل اذا عسعس) اي اذا ادبر ، واقبل الصبح (والصبح اذا تنفس) اي اقبل (انه لقول رسول كريم) وهو جبريل عليه السلام (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين) اي مطاع في السماء امين ثم قال (وما صاحبكم بمجنون) اي صاحبكم الذي منّ الله عليكم به اذ بعثه اليكم رسولا من جنسكم يصحبكم اذ كنتم لا تطيقون ان تروا الملائكة كما قال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الآية) وقال تعالى (ولقد رآه بالافق المبين) اي رأى جبريل عليه السلام (وما هو على الغيب بظنين) اي بمتهم وفي القراءة الاخرى (بضنين) اي ببخيل يكتم العلم ولا يبذله الا بجعل كما يفعل من يكتم العلم الا بالعوض (وما هو بقول شيطان رجيم) فنزه جبريل عليه السلام عن ان يكون شيطانا ، كما نزه محمداً ﷺ عن ان يكون شاعراً او كاهنا .

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بين لهم ان يتبعوه فيه فيؤيدهم بملائكته وروح منه ، ويقذف الله فى قلوبهم من انواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار اولياء الله كراماتهم الحجة في الدين او الحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك .

وكرامات اولياء الله انما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر وتسبيح الحصا في كفه واتيان الشجر اليه وحنين الجزع اليه ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس واخباره بما كان وما يكون واتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص في حديث أم سلمة المشهور ، وروى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص ، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص وهم نحو

ثلاثين ألفاً ونبع المـاء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفي الناس الذين كانوا معه كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة ورده لعين ابي قتادة حين سالت على خده فرجعت احسن عينية ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الاشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرئت ، واطعم من شواء مائة وثلاثين رجلاً كلا منهم حز له قطعة وجعل منها قطعتين فأكاوا منها جميعهم ثم فضل فضلة ، ودين عبد الله ابي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقا . قال جابر فأمر صاحب الدين ان يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل فمشى فيها رسول الله ﷺ ثم قال لجابر جد له فوفاه الثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا ، مثل هذا كثير قد جمعت نحو الف معجزة .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها امثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين وكان سلمان وابو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . وعباد ابن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما . رواه البخاري وغيره .

وقصة الصديق في الصحيحين لما ذهب بثلاثة اضياف معه الى بيته وجعل لايأكل لقمة الا ربى من أسفلها اكثر منها فشبعوا وصارت اكثر مما هي قبل ذلك فنظر اليها ابو بكر وامرأته فاذا هي اكثر مما كانت فرفعها الى رسول الله ﷺ وجاء اليه اقوام كثيرون فأكاوا منها وشبعوا .

وخبيب بن عدى كان أسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة .

وعامر بن فهيرة قتل شهيداً فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليـه وكان لما قتل رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع ، وقال عروة : فيرون الملائكة رفعته .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حساً على رأسها فرفعته فاذا دلو معلق

فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها .

وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الاسد بأنه رسول رسول الله ﷺ فمشى معه الاسد حتى أوصله مقصده .

والبراء بن مالك كان اذا اقسم على الله تعالى أبر قسمه وكان الحرب اذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون يا براء اقسم على ربك فيقول يارب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو فلما كان يوم القادسية قال اقسمت عليك يا رب لما منحتنا اكتافهم وجعلتني اول شهيد فمنحوا اكتافهم وقتل البراء شهيداً .

وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم فشربه فلم يضره .

وسعيد بن ابي وقاص كان مستجاب الدعوة ما دعى قط الا استجيب له وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

وعمر بن الخطاب لما ارسل جيشاً أمّر عليهم رجلاً يسمى سارية فبينا عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل يا سارية الجبل فقدم رسول الجيش فسأل فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدواً فهزمونا فاذا بصائح : ياسارية الجبل يا سارية الجبل فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله .

ولما عذبت الزبيرة على الاسلام في الله فأبت الا الاسلام وذهب بصرها قال المشركون أصاب بصرها اللات والعزى قالت كلا والله فرد الله عليها بصرها .

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه فقال اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها . فعميت ووقعت في حفرة من ارضها فماتت .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم ، فيستجاب له ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والاسقاء لما بعدهم فأجيب ، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ؛ ودعا الله ان لايروا جسده اذا مات) فلم يجدوه في اللحد ، وجرى مثل ذلك لابي مسلم الخولاني

الذي التي في النـار ، فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها ثم التفت الى اصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعوا الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال اتبعني فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أني رسول الله . قال ما أسمع ، قال أتشهد ان محمداً رسول الله ؟ قال نعم ، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائماً يصلي فيها وقد صـارت عليه برداً وسلاما ؛ وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله. ووضعت له جارية السم في طعامه فلم يضره . وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه وما يلقاه سائل في طريقه الا اعطاه بغير عدد ، ثم يجيء الى بيته فلا يتغير عـددها ولا وزنها . ومرّ بقافلة قد حبسهم الاسد فجاء حتى مس بثيابه الاسد ثم وضع رجله على عنقه وقال : انما انت كلب من كلاب الرحمن ، واني استحي ان اخاف شيئاً غيره ، ومرت القافلة ودعا الله تعالى ان يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتي بالماء له بخار ، ودعا ربه ان يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه .

وتغيب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيهم فخر ميتا .

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو ، فقال اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منة ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه . فلما وصل الى بيته قال يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية ، فأخذ سرجه فمات الفرس ، وجاع مرة بالاهواز ، فدعا الله عز وجل واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير فاكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زمانا . وجاء الاسد وهو يصلي في غيضة بالليل فلما سلم قال له اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الاسد وله زئير .

وكان سعيد بن المسيب في ايام الحرة يسمع الآذان من قبر رسول الله ﷺ اوقات الصلوات وكان المسجد قد خلا فلم يبقى غيره .

ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق فقال له أصحابه هلم نتوزع متاعك على رجالنا فقال لهم أمهلوني هنيهة ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه .

ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الاثواب .

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوماً في شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه لانه كان يشترك على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم .

وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سبحت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط .

ولما مات الاحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر .

وكان ابراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً وخرج يمتار لاهله طعاماً فلم يقدر عليه فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع الى أهله ففتحها فاذا هي حنطة حمراء فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها الى فرعها حباً متراكباً .

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال صوتاً حسناً ودمعاً غزيراً وطعاماً من غير تكلف . فكان اذا قرأ بكي وأبكي ودموعه جارية دهره وكان يأوى الى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدرى من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده .

وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الاولياء في غير هذا الموضع .

وأما ما نعرفه عن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغى أن يعرف ان الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوى ايمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه

مستغنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ولهذا كانت هذه الامور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة .

وهذا بخلاف الاحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صياد الذى ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال وتوقف النبي ﷺ في أمره حتي تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان قال له النبي ﷺ قد خبأت لك خبأ قال : الدخ الدخ . وقد كان خبأ له سورة الدخان فقال له النبي ﷺ « إخسأ فلن تعدو قدرك » يعنى انما انت من اخوان الكهان ؛ والكهان كان يكون لاحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره أن النبي ﷺ قال « ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما النبي ﷺ في نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال النبي ﷺ « ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية اذا رأيتموه ؟ قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله ﷺ فانه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضي أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى أوليائهم فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون .

وفي رواية قال معمر قلت للزهرى : أكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .

والاسود العنسى الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض

الامور المغيبة فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه حتى اعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الامور ، وامثال هؤلاء كثيرون مثل الحرث الدمشقي الذى خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد ، وتمنع السلاح ان ينفذ فيه ، وتسبح الرخامة اذا مسحها بيده ، وكان يرى الناس رجالا وركباناً على خيل في الهواء ويقول : هي الملائكة ، وانما كانوا جناً ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك انك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله .

وهكذا اهل الاحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر عندهم ما يطردها مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ « ما فعل أسيرك البارحة » فيقول زعم أنه لايعود ، فيقول « كذبك وانه سيعود » فلما كان في المرة الثالثة . قال : دعني حتى أعلمك ما ينفعك : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الى آخرها ، فانه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فلما أخبر النبي ﷺ قال « صدقك وهو كذوب » وأخبره انه شيطان .

ولهذا اذا قرأها الانسان عند الاحوال الشيطانية بصدق أبطلتها مثل من يدخل النار بحال شيطاني أو يحضر سماع المكاء والتصدية فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاماً لايعلم وربما لايفقه ، وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه ، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجنى على لسان المصروع ، والانسان الذي حصل له الحال لا يدرى بذلك بمنزلة المسروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال . ولهذا قد يضرب

المصروع، وذلك الضرب لا يؤثر في الانسى ويخبر اذا افاق انه لم يشعر بشيء لان الضرب كان على الجني الذي لبسه.

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير بهم الجني الى مكة، أو بيت المقدس أو غيرهما ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجاً شرعياً، بل يذهب بثيابه، ولا يحرم اذا حاذى الميقات، ولا يلبي، ولا يقف بمزدلفة ولا يطوف بالبيت، ولا يسعى بين الصفا والمروة، ولا يرمى الجمار، بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحج، فقال ألا تكتبوني ؟ فقالوا لست من الحجاج. يعنى حجاً شرعياً.

وبين كرامات الاولياء وما يشبهها من الاحوال الشيطانية فروق متعددة منها أن كرامات الاولياء سببها الايمان والتقوى، والاحوال الشيطانية سببها مانهى الله عنه ورسوله. وقد قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالامور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي من الاحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية.

ومن هؤلاء من اذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فاذا حصل رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط كما جرى هذا لغير واحد.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حى أو ميت سواء كان ذلك الحى مسلماً أو نصرانياً أو مشركا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث فيظن انه ذلك الشخص او هو ملك على صورته وانما هو

شيطان أضله لما اشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين ،
ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له أنا الخضر وربما أخبره ببعض الامور
وأعانه على بعض مطالبه كما قد جري ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى
وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته
على صورته وهم يعتقدون انه ذلك الميت ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء
تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما
تصنع كفار الهند فيظنون انه عاش بعد موته ، ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى
خادمه فقال اذا انا مت فلا تدع أحداً يغسلني فأنا اجيء واغسل نفسي فلما مات
رأى خادمه شخصاً في صورته فاعتقد انه هو دخل وغسل نفسه فلما قضى ذلك
الداخل غسله أي غسل الميت غاب وكان ذلك شيطاناً وكان قد أضل الميت وقال
انك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوى الاحياء
كما أغوى الميت قبل ذلك ومنهم من يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور ويسمع من
يخاطبه ويقول أنا ربك فان كان من أهل المعرفة علم انه شيطان فزجره واستعاذ بالله
منه فيزول ، ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعى أحدهم أنه نبي او صديق او
شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد. ومنهم من يرى في منامه ان بعض
الاكابر اما الصديق رضى الله عنه أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو ألبسه طاقيته
أو ثوبه فيصبح وعلى رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر وانما الجن قد حلقوا
شعره أو قصروه وهذه الاحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة
وهم درجات والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم ، والجن فيهم
الكافر والفاسق والمخطىء ، فان كان الانسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلا دخلوا
معه في الكفر والفسوق والضلال وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من
الكفر مثل الاقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ومثل ان يكتب
اسماء الله او بعض كلامه بالنجاسة او يقلب فاتحة الكتاب او سورة الاخلاص
أو آية الكرسي او غيرهن ويكتبهن بنجاسة فيغورون له الماء ، وينقلونه بسبب

ما يرضيهم به الكفر وقد يأتونه بما يهواه من امرأة أو صبي اما في الهواء واما مدفوعاً ملجأ اليه .

الى أمثال هذه الامور التي يطول وصفها ، والايمان بها ايمان بالجبت والطاغوت ، والجبت السحر ، والطاغوت الشياطين والاصنام وان كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم الدخول معه في ذلك او مسالمته .

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هى بيوت الله كان عمار المساجد أبعد عن الاحوال الشيطانية ، وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت او يدعون به او يعتقدون ان الدعاء عنده مستجاب أقرب الى الاحوال الشيطانية ، فانه ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

وثبت في صحيح مسلم عنه انه قال قبل ان يموت بخمس ليال ان من أمنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا من أهل الارض لاتخذت ابا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله . لا يبقين في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر ، ان من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك »

وفي الصحيحين عنه انه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة ، وذكروا من حسنها وتصاوير فيها فقال « ان أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيها تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »

وفي المسند وصحيح ابي حاتم عنه ﷺ قال « ان من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم احياء والذين والذين اتخذوا القبور مساجد » .

وفي الصحيح عنه ﷺ انه قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » وفي الموطأ عنه انه قال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » .

وفي السنن عنه انه قال « لا تتخذوا قبرى عيداً وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني » .

وقال ﷺ « ما من رجل يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحى حتي ارد عليه السلام وقال ﷺ « ان الله وكل بقبرى ملائكة يبلغوننى عن أمتى السلام » وقال ﷺ : « اكثروا عليّ من الصلاه يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة عليّ قالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اى يقولون بليت . فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء » .

وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام (قالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم ، فكان هذا مبدأ عبادة الاوثان . فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك ، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها لان المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب ، والشيطان يضل بنى آدم بحسب قدرته فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل اهل دعوة الكواكب فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الامور ويسمون ذلك روحانية الكواكب ، وهو شيطان والشيطان وان اعان الانسان على بعض مقاصده فانه يضره اضعاف ما ينفعه وعاقبة من اطاعه الى شر الا ان يتوب الله عليه وكذلك عباد الاصنام قد تخاطبهم الشياطين وكذلك من استغاث بميت او غائب وكذلك من دعا الميت او دعا به او ظن ان الدعاء عند قبره افضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق اهل المعرفة وهو « اذا اعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور » وانما هذا وضع من فتح باب الشرك .

ويوجد لاهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الاصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد ، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه . يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، واذا قرأت آية الكرسي

هناك بصدق بطل هذا ، فان التوحيد يطرد الشيطان ، ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال : لا اله الا الله فسقط ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه انسان فيظنه الميت وهو شيطان .

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان الانقطاع الى المغارات والبوادى من البدع التى لم يشرعها الله ولا رسوله صارت الشياطين كثيراً ما تأوى المغارات والجبال مثل مغارة الدم التى بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذى بساحل الشام ، وجبل الفتح بأسوان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة ، وغير ذلك ، وجبل اللكام ، وجبل الاحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز وجبل ماشكوا عند اقشوان وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالا من الصالحين من الانس ويسمونهم رجال الغيب ، وانما هناك رجال من الجن ، فالجن رجال كما ان الانس رجال ، قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) .

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعراني جلده يشبه جلد الماعز فيظن من لا يعرفه أنه انسي وانما هو جني ، ويقال بكل جبل من هذه الجبال الاربعون الابدال ، وهؤلاء الذين يظن أنهم الابدال هم جن بهذه الجبال كما يعرف ذلك بطرق متعددة .

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه وذكر ما نعرفه من ذلك فانا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذى كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جمل ذلك .

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام : قسم يكذب بوجود ذلك لغير الانبياء وربما صدق به مجملا وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الاولياء ، ومنهم من يظن كل من كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله ، وكلا الامرين خطأ . ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين وانهم من أولياء الله . وأولئك

يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة والصواب القول الثالث وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من اولياء الله عز وجل كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من اوليـاء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة تقترن به الشياطين فيكون لاحدهم من الخوارق ما يناسب حاله لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضا ، واذا حصل من له تمكن من اولياء الله تعالى ابطلها عليهم ، ولا بد ان يكون في احدهم من الكذب جهلاً أو عمداً ، ومن الاثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من اوليـاء الشياطين . قال الله تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) والافاك الكذاب . والاثيم الفاجر .

ومن اعظم ما يقوي الاحوال الشيطانية سماع الغنـاء والملاهي وهو سماع المشركين قال الله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف : التصدية التصفيق باليد والمكاء مثل الصفير ، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة ، واما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصـلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ واصحابه على استماع غناء قط لا بكف ولا بدف ولا تواجد ولا سقطت بردته بل كل ذلك كذب باتفـاق اهل العلم بحديثه .

وكان اصحاب النبي ﷺ اذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم ان يقرأ ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطـاب رضي الله عنه يقول لابي موسى الاشعري : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي ﷺ بأبي موسى الاشعري وهو يقرأ فقال له مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك فقال : لو علمت انك تستمع لحبرته لك تحبيراً اي لحسنته لك تحسينا كما قـال النبي ﷺ (زينوا القرآن باصواتكم) وقال ﷺ : لله أشد اذناً أي استماعاً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته . وقال ﷺ لابن مسعود اقرأ عليّ القرآن فقال

أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : انى احب ان اسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء ، حتى انتهيت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك ، فاذا عيناه تذرفان من البكاء .

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم كما ذكر الله في القرآن فقال (اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) وقال في أهل المعرفة (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) ومدح سبحانه اهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الايمان واقشعرار الجلد ودمع العين فقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)

وأما السماع المحدث ، سماع الكف والدف والقصب فلم تكن الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر الاكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقا الى الله تبارك وتعالى ، ولا يعدونه من القرب والطاعات ، بل يعدونه من البدع المذمومة ، حتى قال الشافعي خلفت ببغداد شيئاً احدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن ، وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون ان للشيطان فيه نصيباً وافراً ، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان ابعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيها اكثر وهو بمنزلة الخمر ، يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا اذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألسنة بعضهم وحملت بعضهم في الهواء وقد تحصل عداوة بينهم كما تحصل بين شراب الخمر فتكون شياطين احدهم اقوى من شياطين الآخر فيقتلونه ، ويظن الجهال ان هذا من كرامات أولياء الله المتقين

وانما هذا مبعد لصاحبه عن الله وهو من احوال الشياطين ؛ فان قتل المسلم لا يحل الا بما أحله الله فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه ، وانما غاية الكرامة لزوم الاستقامة ، فلم يكرم الله عبداً بمثل ان يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه اليه ، ويرفع به درجته .

وذلك ان الخوارق منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات ومنها ما هو من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادات ومنها ما هو من جنس الغنى من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنى .

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الامور ان استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه اليه ويرفع درجته ويأمره الله به ورسوله، ازداد بذلك رفعة وقربا الى الله ورسوله ، وعلت درجته وان استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فان لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية والا كان كامثاله من المذنبين ، ولهذا كثيراً ما يعاقب اصحاب الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه ويسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة الى العامة ، وتارة ينزل الى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الاسلام ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية فان كثيراً من هؤلاء يرتد عن الاسلام ، وكثيراً منهم لا يعرف ان هذه شيطانية بل يظنها من كرامات أولياء الله ، ويظن من يظن منهم ان الله عز وجل اذا أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن ان الله اعطى عبداً ملكا ومالا وتصرفا لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على امور مباحة لا ماموراً بها ولا منهيا عنها ، فهذا يكون من عموم الاولياء ، وهم الابرار المقتصدون ، واما السابقون المقربون ، فأعلى من هؤلاء . كما ان العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل كان كثيرا من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكلهم يأمر المريد السالك ان لا يقف

عندها ولا يجعلها همته ولا يتبجح بها ؟ مع ظنهم انها كرامات ، فكيف اذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ، فاني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع وانما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول هنيئا لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول : خذني حتى يا كلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الانس ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس وكذلك في ابواب المدينة وتكون الجن قد ادخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به انوار او تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله .

واعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له انا من امر الله ويعده بانه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ويظهر له الخوارق ، مثل ان يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير او الجراد يمينا او شمالا ذهب حيث اراد ، واذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي او نومه او ذهابه حصل له ما اراد من غير حركة منه في الظاهر وتحمله الى مكة وتأتي به وتأتيه باشخاص في صورة جميلة وتقول له هذه الملائكة الكروبيون ارادوا زيارتك ، فيقول في نفسه كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحا ويقول له علامة انك انت المهدي انك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها وغير ذلك وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج الى مجلد كبير وقد قال تعالى (فأما الانسان اذ ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ، واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) قال الله تبارك وتعالى (كلا) ولفظ (كلا) فيها زجر وتنبيه ، زجر عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ويؤمر به بعده ، وذلك انه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله عز وجل مكرماً له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك . بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء ، فقد يعطى النعم الدنيوية لمن لا يحبه.

ولا هو كريم عنده ليستدرجه بذلك ، وقد يحمى منها من يحبه ويواليه لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضاً كرامات الاولياء لابد أن يكون سببها الايمان والتقوى فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق اعداء الله لا من كرامات اولياء الله فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء ، وانما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت والغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحياة والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء والرقص لا سيما مع النسوة الاجانب والمردان ، وحالةخوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلا طويلا ، فاذا جاءت الصلاة صلى قاعداً أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد ، فهذه أحوال شيطانية وهو ممن يتناوله قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) .

فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال الله تعالى (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك آتتك آياتنا فنسيتها ؛ وكذلك اليوم تنسى) يعني تركت العمل بها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ؛ ثم قرأ هذه الآية .

فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ الى جميع الانس والجن ، فلم يبق انسي ولا جني الا وجب عليه الايمان بمحمد ﷺ واتباعه ، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر ، سواء كان انسياً أو جنياً .

ومحمد ﷺ مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين وقد استمعت الجن القرآن وولوا الى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) .

وأنزل الله تعالى بعد ذلك (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ؛ ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ، وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى السفيه منا في أظهر قولى العلماء .

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس اذا نزل بالوادى قال أعوذ بعظيم هذا الوادى من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس بالجن ازدادت الجن طغياناً وكفراً كما قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً . وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احداً . وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا) وكانت الشياطين ترمى بالشهب قبل ان ينزل القرآن لكن كانوا احيانا يسترقون السمع قبل ان يصل الشهاب الى احدهم ، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل ان يسمعوا كما قالوا (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) وقال تعالى في الآية الاخرى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ؛ انهم عن السمع لمعزولون) قالوا (وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا . وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك . كنا طرائق قددا) اى على مذاهب شتى كما قال العلماء منهم المسلم والمشرك والنصراني

والسني والبدعي (وانا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا) أخبروا أنهم لا يعجزونه : لا إن أقاموا في الارض ولا إن هربوا منه (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) أي الظالمون ، يقال اقسط اذا عدل ، وقسط اذا جار وظلم (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا . وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا . وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا . قل انما ادعوا ربي ولا أشرك به احدا . قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشدا . قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن اجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ ومعاذا (الا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا ، حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصراً وأقل عددا)

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا الى النبي ﷺ وآمنوا به وهم جن نصيبين ، كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث بن مسعود وروى انه قرأ عليهم سورة الرحمن ، وكان اذا قال (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد .

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم » قال النبي ﷺ « فلا تستنجوا بها فانها زاد لاخوانكم من الجن » وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة وبذلك احتج العلماء علي النهي عن الاستنجاء بذلك ، وقالوا فاذا منع من الاستنجاء بما للجن ولدوابهم فما أعد للانس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى .

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الانس والجن ، وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام ، فانهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد ﷺ أرسل اليهم يأمرهم بما أمر الله به ورسوله ، لانه عبد الله ورسوله ،

ومنزلة العبد الرسول ، فوق منزلة النبي الملك .

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والاجماع ، وأما مؤمنوهم فجمهور العلماء على انهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على ان الرسل من الانس ولم يبعث من الجن رسول . لكن منهم النذر وهذه المسائل لبسطها موضع آخر .

والمقصود هنا ان الجن مع الانس على احوال : فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الانس في امور مباحة له ، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك . وهذا اذا قدر انه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون في عموم اولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول كسليمان ويوسف مع ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك وأما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وانسائه العلم وغير ذلك من الظلم واما في فاحشة كجلب من يطلب فيه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان ، ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وان استعان بهم على المعاصي فهو عاص إما فاسق وإما مذنب غير فاسق ، وان لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن انه من الكرامات مثل ان يستعين بهم على الحج أو أن يطيروا به عند السماع البدعي أو أن يحملوه الى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله وأن يحملوه من مدينة الى مدينة ، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به ، وكثير من هؤلاء قد لا يعرف ان ذلك من الجن ، بل قد سمع أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التلبيسات الشيطانية فيمكرون

به بحسب اعتقـاده ، فمن كان مشركاً يعبد الكواكب والاوثان أوهموه انه ينتفع بتلك العبادة. ويكون قصـده الاستشفاع والتوسل بمن صور ذلك الصنم على صورته من الملك أو نبي أو شيخ صالح فيظن أنه صالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان قال الله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون)

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ولهـذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون فان كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به ، وان كان منتسباً الى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين جاء في صورة ذلك الشيخ ، وان كان من مشركي الهند جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك .

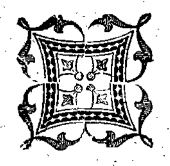
ثم ان الشيخ المستغاث به ان كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان انه تمثل لاصحابه المستغيثين به وان كان الشيخ ممن لا خبرة له باقوالهم نقل اقوالهم له فيظن أولئك ان الشيخ سمع اصواتهم من البعـد وأجابهم ، وانما هو بتوسط الشيطان .

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال يرونني الجن شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج ويمثلون له فيه ما يطلب منه الاخبار به قال فاخبر الناس به ويوصلون الى كلام من استغاث بي من اصحابي فاجيبه فيوصلون جوابي اليه .

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق اذا كذب بها من لم يعرفها وقال انكم تفعلون هذا بطريق الحيلة كما يدخل النـار بحجر الطلق وقشور النارنج ، ودهن الضفادع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية فيعجب هؤلاء المشايخ ويقولون نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل . فلما ذكر لهم الخبير انكم لصادقون في ذلك ، ولكن هذه الاحوال شيطانية أقروا بذلك

وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق ، وتبين لهم من وجوه انها من الشيطان ، ورأوا انها من الشياطين لما رأوا انها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية ، فعلموا انها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لاوليائه .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه وعلى آله وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه صلاة وسلاما نستوجب بها شفاعته « آمين »



تم بحمد الله تعالى